نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ

طارق مراد

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل التصديق بالدار الآخرة وما فيها من بعث ونشور وحساب وجنة ونار، قد جعله من أركان الإيمان وأسسه وقواعده، فلا يصح إيمان عبد لا يؤمن بهذا اليوم العظيم، ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٦].

وكل رسول بعثه الله إلى قومه دعاهم إلى الإيمان بالله وحده ثم إلى الإيمان باليوم الآخر فما خلت منه دعوة رسول، لأنه الموجّه الحقيقي للإنسان لكي يقوِّم أخلاقه، ويسدّد أعماله، ويحسّن سلوكه في دنياه، ولو لم يكن هناك يوم آخر للحساب وللعقاب والثواب، لنجا الكافرون الظالمون المفسدون في الأرض، ولكان الظلم قد حلّ بالضعفاء والمقهورين، ولفسد هذا الكون واضطربت أحوال الناس فيه، فمن حكمته تعالى أن جعل اليوم الآخر ليحاسب الناس كلَّ الناس على ما قدمت أيديهم واكتسبت أنفسهم ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين: ٧، ٨].

إن الله تعالى هو أحكم الحاكمين، وهو خير الفاصلين، عندما يُدخل المؤمنين الطائعين جنته برحمته وإحسانه، وعندما يُدخل الكافرين النار بعدله، فالجنة جعلها ترغيباً، والنار جعلها ترهيباً وتخويفاً لكي ينزجر الكافر عن كفره، ولكي يرتدع العاصي عن معصيته، وليخاف الناس فيصلحوا ما بينهم وبين الله، وما بينهم وبين أنفسهم، وما بينهم وبين أهليهم، لئلا

يخسروا أنفسهم وأهليهم كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥، ١٦].

ولقد قام ولدنا الحبيب طارق مراد، وهو في سن الرابعة عشرة من عمره، بتوفيق من الله تعالى وفتح منه سبحانه، بتأليف هذا الكتاب، متقصياً فيه كل المباحث عن النار في الدار الآخرة وعن أهوالها وأهلها وصفاتهم فيها، فجاء كتاباً جيداً قد تميز بأسلوب واضح سلس ممتع، مؤيداً معظم كتاباته بالمصادر الموثوقة والمراجع المعتمدة، ليكون كتاباً كبيراً لفتى في سنه صغير، وإننا نرى في مؤلفنا الشاب - بإذن الله - الروح العالية، والعمل الدؤوب، والطموح العظيم، ونتوسم فيه كل خير وبر وعطاء، وخاصة في ميدان الكتابة والتأليف، ليكون له موعد متألق مع الدفاع عن قضايا المسلمين وما يقذفهم به الأعداء من التهم والشبهات.

ولذلك فإنني أرى أن من اللازم علينا تبني مثل هذه الأقلام اليافعة التي تصدّرت للعمل الإسلامي الكبير، موجّهين ومسدِّدين ومشجّعين، راجين من الله سبحانه وتعالى أن يزيد هذه الأمة الإسلامية من الشباب المجاهد في سبيل الله بكلمة الحق والعمل الصالح، واللّهَ العظيم الكريم أسأل أن يتقبل عنك - يا طارق - عملك المبارك هذا وأن يزيدك من علمه وفضله وكرمه.

نراك في المستقبل القريب علماً من الأعلام، وداعية مخلصاً لنشر رسالة الإسلام، وما ذلك على الله بعزيز.

الشيخ زكريا عميرات

مقدّمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكوّر الليل على النهار، تذكرة لأولي القلوب والأبصار، وتبصرة لذوي الألباب والاعتبار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهّدهم في هذه الدار، وشَغَلهم بمراقبته وإدامة الافتكار، وملازمة الاتعاظ والادّكار، ووفقهم للدأب في طاعته والتأهب لدار القرار والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار، والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار.

أحمده أبلغ حمد وأزكاه، وأشمله وأنماه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، البَرُّ الكريم، الرؤوف الرحيم، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، الهادي إلى صراط مستقيم، والداعي إلى دين قويم، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن الحديث عن الجنة ونعيمها والنار وعذابها أسلوب عريق من أساليب التربية الوجدانية عن طريق الترغيب والترهيب، للوصول بمن يُقصد تربيته من الناس إلى أن يصبح متمكناً من نفسه، فيتغلب على نوازعها الأثيمة ونهداتها الجامحة الخاطئة في مجالات التعامل والعلاقات مع الآخرين.

ولا يزال الإنسان في عصرنا الحديث، يستعين بهذا الأسلوب لتوجيه

الناشئة ومساعدتهم للسيطرة على انفلاتات النفس وتفصّياتها من عُقُل الخير والحق ولحملها على الالتزام بالحدود التي رسمتها الشرائع والقوانين والآداب العامة التي وضعتها.

والنار كما جاء عرضها في القرآن الكريم، وعرض أخبارها وأخبار من فيها، وكذلك في السنّة المطهرة، كعقاب للكافرين والجاحدين والرافضين لدعوات الرسل والمتمردين على أوامرهم، تزلزل النفوس وتخيف الأفئدة وتقلق الأفكار. فهي لا شك نذير لكل من شاء أن يهمّ بفعل سوء أو ارتكاب خطيئة أو انحراف عن سبيل الله المستقيم. وهي باعثة على التذكر والوعي يقول الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣١-٣٧].

ومن أهداف هذا النهج المساعدة على رد أهواء وشهوات الناس وضبط غرائزهم وانطلاقاتها ليستقيم سلوكهم ويعتدل في حياتهم الدنيا. وذلك لأن الإنسان بطبيعته يخشى كل ما يسبب له الألم والعنَت، ويتفادى ورود مداخله وكل ما يقرّب إليه.

والنار السوداء التي تنبعث من جهنم هي من أشد المفزعات هولاً على نفس الإنسان وأكثرها إرعاباً له. وإخبار الله تعالى عنها في كتابه وكذلك السنّة النبوية الكريمة، بالصورة التي اتبعت فيهما بأنها معدّة لتكون المصير الذي يؤول إليه الكافرون، هو دونما ريب سبب رادع لكل عاقل تحدثه نفسه بأن يتخذ إلهه هواه وينجرف معه إلى مهاوي الضلال والبغي والفساد.

وسيتحدث هذا الكتاب عن منزلة أولئك الكافرين والمشركين بالله والعاصين أوامره، وما أعد لهم من عذاب وعقاب، وطعام وشراب . . .

واسم هذا الكتاب هو أحد أسماء النار التي وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٦، ٧].

وقد قسمت الكتاب إلى ستة فصول تناولت فيه جانباً من هذا الموضوع الواسع، وما قدمته هو غيض من فيض.

ففي **الفصل الأول** تحدثت عن تعريف النار وأسمائها وذكر ما جاء عنها في الكتب السماوية حتى بعد تحريفها وفي السنّة المطهرة، وكذلك الحكمة من خلقها وأنها حقيقة لا خيال، ولا مجال للتشكيك في ذلك.

وأما **الفصل الثاني** فتناولت فيه موضوع صفاتها من كبر وسعة ووقود وسرادق وغير ذلك من صفات تتعلق بالنار.

وكان **الفصل الثالث** عن مكان وجودها وأنها مخلوقة قديمة، وكيف يؤتى بها يوم القيامة، وكذلك تحدثت عما استشكل به البعض أن الشمس والقمر هما النار يوم القيامة.

وأما **الفصل الرابع** فهو يتحدث عمّن يدخل النار مع ما يلاقيه من العذاب فيها وشدة الألم، ليكون هذا الفصل الرادع عن الكبائر لمن سوّلت له نفسه أن يهمّ بها أو بشيء منها. وتكلمت في هذا الفصل في مبحث «المبشرون بالنار» (صفاتهم وأعمالهم) عن عُبَّاد الشيطان التي ظهرت جماعاتهم في القرن الأخير وكثرت وصارت علنية في الآونة الأخيرة. ومر فيه ذكر الجن وما يتعلق بدخولهم النار، ودخول إبليس النار وبعض من بشروا بالنار.

وأما **الفصل الخامس** فتحدثت فيه عن حياة أهل النار في النار، وعن ملائكة العذاب وخازن النار مالك، وتحدثت أيضاً في هذا الفصل عن كيفية دخولهم وعن طعامهم وشرابهم وإلى ما هنالك من أوصاف لهم ولحياتهم في النار.

وأما **الفصل السادس** والأخير فهو عن شفاعة النبي ﷺ للموحدين وكيفية خروجهم، وخلود أهل النار في النار وعن الأسباب التي تنجي الإنسان من عذاب النار يوم القيامة.

وقد اخترت في هذا الكتاب موضوع «نار يوم القيامة» ليكون السبب

الرادع عن طريق النار المحذِّر منها، وليعرّف القارئ على دار العذاب يوم القيامة وعلى ما فيها من بوار وألم وعذاب، فيعرف بذلك مصير الكافرين والعاصين. والحقيقة أن أي جهد في الغيبيات أمر محمود لأنه يثري آفاق البحث، ويزيدنا إيماناً بهذا الأمر الغيبي الذي وردت فيه نصوص قرآنية، والنار من الغيبيات التي وجب الإيمان بها.

ولا بد في النهاية من أن أتوجه بالشكر إلى المؤسسة التي تولّت طبع هذا الكتاب التي أرجو من الله أن يشدّ أزرها ويسدّد خطاها لتؤدي رسالتها على أكمل وجه. وأسأل الله أن يثبت كل من له يد في إبراز هذه الرسالة وإخراجها بالشكل اللائق فهو مولانا وعليه اتكالنا.

وهذا العمل بحدّ ذاته لا يمكن أن يكون مكتملاً، لأنه لا يمكن أن يُحاط بوصف النار لما فيها من الأهوال العظمى، وكذلك نلفت نظر القارئ الكريم إلى استدراك الملاحظات العفوية التي أغفلناها وأرجو منه أن ينبهنا على ذلك.

ونسأل الله تعالى أن يجيرنا من عذاب النار يوم القيامة ونسأله العون والرشاد، وأن يوفقنا لما فيه الخير للعباد.

المؤلف

طارق مراد

الفصل الأول

النـــار

المبحث الأول: تعريف النار

النار التي سنتحدث عنها في هذا الكتاب هي نار الآخرة التي خلقها الله وأعدها ليعذب بها الكافرين والمشركين ومن عصى من خلقه، ولقد ورد ذكر كلمة ﴿ٱلنَّارِ﴾ - المقصود بها نار الآخرة - في القرآن الكريم مئة وعشرين مرة.

أما النار لغة: فهي لفظة مؤنثة، وأصل الألف فيها واو، تصغيرها نويرة، وفي التنزيل العزيز، يقول الله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: ٨]. قال الزجاج: جاء في التفسير أن من في النار هنا: نور الله عز وجل، ومَن حولها قيل: الملائكة، وقيل نور الله أيضاً. وقال ابن سِيْدَهْ: وقد تُذَكّر النار، وأنشد في ذلك:

فَمن يأتنا يُلمِمْ بنا في ديارِنا يجِدْ أثراً دعساً وناراً تأجّجا[(١)]

وأما نار الدنيا مادةً: فهي شيئ محسوس مضيء محرق، واشتقاقها من نار ينور نوراً إذا نفر، لأن فيها على ما يُرى حركة واضطراباً[(٢)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (مادة نور/بتصرف).

(٢) روح المعاني (البقرة: ١٧/بتصرف).

وقالوا: «النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام. وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع: نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا، ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار، ونوع له إحراق بلا نور وهي نار جهنم، ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام»(1).

المبحث الثاني: ذم النار في القرآن الكريم

لقد ورد في القرآن الكريم مواضع كثيرة في ذم النار وبيان صفاتها على أنها دار العذاب الشديد يوم القيامة للكافرين والمشركين ولمن عصى الله تعالى من أصحاب الرسالات السماوية وهي مرتبة كما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

ذمها الله بقوله: أشد العذاب، لأنها عذاب شديد الألم والإحراق لا يُتصور ولا يطاق.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

ذمها الله بقوله: بئس المصير، لأنها ساءت مصيراً وتعس أصحابها ويئسوا من هذا المقرّ والمقام.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦].

ذمها الله بقوله: بئس المهاد، لأنها تعست مقراً لأصحابها - والمهاد:

(١) روح المعاني للألوسي (١٦/٢١١).

جمع مهد، وهو الموضع المهيأ للنوم - وبئس ما مهّدوا لأنفسهم بكفرهم، وما مهّد الله لهم من النار.

وقال الله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٩].

ذمها الله بقوله: بئس القرار، لأنها تعست منزلاً ومستقراً لأصحابها، لشدة وهوان عذابها وأنكالها.

وقال الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

ذمها الله بقوله: بئس الورد المورود، لأنها تعست وساءت مدخلاً لأصحابها.

وقال الله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٩].

ذمها الله بقوله: بئس الرِّفد المرفود، لأنها تعست عطاء وموضعاً لأصحابها.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

ذمها الله بقوله: دار البَوار، لأنها دار الهلاك التي أعدها ليهلك بها الكافرين.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

ذمها الله بقوله: عذاب الهُون، لأنها تفضح أصحابها وتذلّهم إذلالاً كبيراً وتخزيهم.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣].

ذمها الله بقوله: الخزي العظيم، أي أنها أشد وأعظم من العذاب الذي يصيبهم في الدنيا.

وقال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

ذمها الله بقوله: سوء الدار أي أنها أسوأ دار في الوجود، ومقامها سيئ لا يطاق.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزمر: ٢٤].

ذمها الله بقوله: سوء العذاب، لشدة بؤس العذاب المقيم فيه أصحابه، ولأن أصحابها لا يطيقون دفعها عنهم من أجل الأغلال.

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

وذمها الله بقوله: اللعنة، لأن اللعنة هي البعد عن الرحمة، والرحمة يوم القيامة هي الجنة، وأصحاب النار في لعنة مبعدون عن الرحمة.

المبحث الثالث: ذكر ما جاء عنها في الكتب السماوية

المطلب الأول: ذكرها في الزبور والتوراة والإنجيل

لقد ورد ذكر النار في الشرائع السابقة على الإسلام، فكما ذكرت النار في القرآن الكريم، ذكرت أيضاً في الزبور والتوراة والإنجيل. حتى النصوص في هذه الكتب بعد تحريفها فيها ذكر للنار وعذاب أهلها وهي تشير إلى أن النار هي جزاء الكافرين وهم فيها خالدون مخلدون، وجزاء العصاة وهم فيها يعذبون، وأنها دار الذل والهوان.

فذكرها في الزبور يدل على أنها من دور الآخرة الثابتة بالنص والواجب الإيمان بها. من هذه النصوص:

ما جاء في المزمور التاسع والأربعين ما لفظه: «مثل الغنم الهاوية يساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون غداة».

وفي المزمور الخامس والخمسين ما لفظه: «ليبغتهم الموت لينحدروا إلى الهاوية أحياء لأن في مساكنهم في وسطهم شروراً».

وجاء أيضاً في المزمور السادس عشر ما لفظه: «جسدي أيضاً يسكن مطمئناً. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية».

ووردت النار في نصوص كثيرة في التوراة المتداولة الآن، صُرح فيها بذكر النار، وقد سميت النار في التوراة بلفظ «سول واش»، ومعناه كما قال علماء اليهود: «جهنم».

جاء في الأصحاح[1] الخامس من سفر الأمثال لسليمان عليه السلام ما لفظه: «ويجعلكم بعد الموت إلى الجحيم».

ومن سفر دانيال ما لفظه: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى النار».

وورد ذكرها في مواضع كثيرة من الإنجيل المتداول الآن، وأكتفي هنا ببعض النصوص التي يُستدل بها على حقيقة النار ووجودها وأنها من دور الآخرة.

جاء في إنجيل متّى ما لفظه: «ومن قال يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم - إلى قوله - ولا يلقى جسدك كله في جهنم».

وجاء في الأصحاح الخامس والعشرين من متّى ما لفظه: «ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته».

---

(١) الأصحاح معناه الفصل.

وهكذا نرى حقيقة النار التي اتفقت عليها الشرائع السماوية ونطقت بها كتب السابقين، ولم يوجد تشريع أنكر وجودها، أما الذين أنكروا وجود النار فإنهم أصحاب فلسفات عمياء وفكر قاصر.

المطلب الثاني: ذكرها في القرآن الكريم

لقد ورد ذكر نار الآخرة في القرآن الكريم مئة وعشرين مرة، في مواضع كثيرة مختلفة ومتعددة، وسوف أقتصر هنا على بعض النصوص القرآنية الكريمة:

يقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

يقول عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ويقول العلي القدير: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

ويقول جل وعز: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

ويقول تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

ويقول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

ويقول الله جل شأنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٢ - ٥].

ويقول العزيز القدير: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥].

ويقول الجليل تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴿٦﴾﴾ [الهمزة: ٥، ٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴿٣﴾﴾ [المسد: ١-٣].

وهذه كلها أدلة قطعية في حقيقة النار وثبات وجودها وورود ذكرها في الكتب السماوية، وأنها عذاب الله التي لا يعذِّب بها إلا خالقها سبحانه وتعالى، ونسأل الله أن يجيرنا منها.

المطلب الثالث: ذكرها في السنّة النبوية المطهرة

ولقد ورد ذكر النار في السنّة النبوية المطهرة في كثير من المواضع، وهي تبين أن النار جزاء للكافرين في الآخرة، وأنها دار الشقاء والعذاب، وأنها دار القصاص من كل فاجر أثيم ودار الخسران المبين.

فعن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[١].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»[٢].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قالوا: ما رأيت يا رسول الله ؟ قال: «رأيت الجنة والنار»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفَسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»[٥]. والزمهرير: شدة البرد.

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية - أي أن نار الدنيا كانت كافية لتعذيب الجهنميين - قال: «فضلت عليهنّ بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها»[٦].

---

(١) رواه الترمذي (١٧٥/٤).
(٢) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق ٣٠٥١/١٣).
(٣) رواه مسلم (٢١٩٩/٤).
(٤) رواه مسلم (٣٢٠/١).
(٥) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق ٣٠٥٠/١٣).
(٦) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق ٣٠٥٥/١٣).

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نَفَسه لاحترق المسجد بمن فيه»(١).

وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا تباكَوْا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع، فيسيل الدم، فتقرح العيون»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده، إن قدر ما بين شفير النار وقعرها كصخرة زنتها سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهنّ، تهوي فيما بين شفير النار وقعرها إلى أن تقع قعرها سبعين خريفاً»(٤).

وفي حديث الإسراء الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثم عرضت عليَّ النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أغلقت دوني»(٥).

كانت تلك أدلة قاطعة الثبوت في حقيقة النار وذكرها في السنّة النبوية المطهرة، ووجودها، وأنها من دور الآخرة التي يجب الإيمان بها.

---

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (٤٦٦٧/٤).
(٢) المرجع السابق (٤٦٧٣/٤).
(٣) رواه الترمذي (١٠/أبواب جهنم).
(٤) المستدرك للحاكم (مجلد٤/كتاب الأهوال/٥٩٧).
(٥) تفسير القرآن العظيم (١٤/٣).

المبحث الرابع: الحكمة من خلق النار ومبدأ الجزاء والقصاص

لقد ذرأ الله الخلق ونوّع وجوده، وخالف بين أنواعه بالصورة والكفاءة والقدرة وبالصفات، وجعل أعلى أنواع الخلق الإنسان الذي كرّمه وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض، وأنبأه بأنه خلقه فسوّاه وصيره في أحسن تقويم بما منحه من فكر وذوق وإحساس وبيان. ثم أرسل له الرسل بين يدي الساعة معلنين ومبشرين ومنذرين يحملون له منهج الهدى ويضعونه على الخط المستقيم. فأخبروه بأن الله تعالى لم يخلقه عبثاً وأن مقامه في هذه الدنيا مقام محدود لأجل مسمى احتفظ رب العالمين بعلمه ولم يطلع عليه أحداً، وأن مردّه إلى الله في يوم مشهود يقف فيه بين يدي الله تعالى وقفة الجزاء والحساب والسؤال، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]. ويقول: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة: ٣٦].

وبالفعل فإن الله تعالى لم يترك الإنسان دونما هداية وتعليم، بل رسم له إطار سلوكه، ووضع له الحدود، وبين له الأمر والنهي، وكلّفه في حدود طاقته بعد أن بين له وأنذره بقرب الحساب، كل ذلك ليضمن له سعادة المعاش وراحة المنقلب، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ [الإنسان: ٣]. وجعل للمؤمنين الذين يأتمرون بالأمر وينتهون عن النهي ويشكرون الله على ما آتاهم، جنة خالدين فيها أبداً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾ [البقرة: ٢٥]. وجعل للذين لا يأتمرون بالأمر ولا ينتهون عن النهي ويكفرون بالله بعدما آتاهم نعمه، ناراً يعذبون بها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال رسول الله ﷺ: «تحاجّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت

بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط! فهنالك تمتلئ ويُزْوى بعضها إلى بعض»[1]، وسيأتي تفسير هذا الحديث - إن شاء الله - في الفصل الثاني مبحث سعة النار وبُعد قعرها.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفّت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»[2].

المبحث الخامس: النار حقيقة لا خيال

إن النار آية من آيات الله يوم القيامة، وهي حقيقة وليست خيالاً كما يحلو للبعض أن يقول أو يدّعي. إنها واقع موجود، وسوف يتحسس آثارها كل عُتُل جبار متكبر منحرف عن الحق، متمرد على أوامر الله متعد على حدوده، جاحد منكر لوحدانيته. وإن كلام الله هو الفصل وما هو بالهزل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [ص: ٥٥، ٥٦]. وقال: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]. وسوف يأتي بها

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير/٨/٤٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٤/٦٩٣، ٦٩٤).

كما قال النبي ﷺ يوم القيامة سبعون ألف ملك يجرونها من أزمتها.

وقال الحافظ ابن كثير: إنه قد تواترت الأخبار فإنها حق وإنها موجودة ومعدّة لأصحابها وذلك عن رسول الله ﷺ. وهو ما يعتقده أهل السنّة والجماعة. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفَس في الشتاء ونفَس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»(١). وقال ﷺ: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحرّ من فيح جهنم»(٢).

ونار الدنيا بذاتها تمثل صورة مصغرة عن نار الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق: ١٣/٣٠٥٠).

(٢) المرجع السابق (١٣/٣٠٤٩).

(٣) رواه البخاري (١٣/٣٠٥٥).

الفصل الثاني
صفات النار

المبحث الأول: أبواب النار ودركاتها

إن للنار دركات ومنازلَ، قد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأن المنافقين في الدرك الأسفل منها، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]. وقرأ البصريان والمدنيان وابن عامر وابن كثير[1] بفتح الدال والراء ﴿الدَّرَكِ﴾، والثانية أفصح، لأنه يقال في الجمع: أدراك، وقال أبو عليّ الفارسي: هما لغتان كالشَّمْع والشَّمَع ونحوه، وقيل: جمع الدرك أدرك. ومعنى أدراك أي أنها طبقات، وهي سبع، وقد سمى الله الطبقة دركاً، ولم يسمه درجاً، لأن العرب يستعملون لكل ما تسافل كلمة درك ولكل ما تعالى كلمة درج، فطبقات الجنة درجات، وطبقات النار دركات[2]. وقد نقل البعض عن أمير المؤمنين علي ﷺ قوله: «هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قيل: هي مثل أبوابنا هذه، فقال: لا، بل هي هكذا بعضها فوق بعض»[3].

ولكل درك من دركات النار باب، وقد ثبت قطعاً أن للنار سبعة أبواب

(١) وهم من أصحاب القراءات العشر المتواترة.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٤٢٥/بتصرف).
(٣) التذكرة ص ٤٤٤.

وذلك بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقال أبيّ بن كعب: «لجهنم سبعة أبواب، أشدها غماً وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم»(١). وقال بلال ﷺ: كان النبي ﷺ يصلي في مسجد المدينة وحده، فمرت به أعرابية فصلّت خلفه ولم يعلم بها، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، فخرّت الأعرابية مغشياً عليها وسمع رسول الله ﷺ وجبتها - أي وقعتها على الأرض - فانصرف ودعا بماء فصبّ على وجهها حتى أفاقت وجلست، فقال النبي ﷺ: «يا هذه ما لكِ؟ «فقالت: هذا شيء من كتاب الله أو شيء من تلقاء نفسك؟ فقال يا أعرابية: «بل هو من كتاب الله المنزل»، فقالت: كل عضو من أعضائي يعذب على باب منها؟ قال يا أعرابية: «بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب أهل لكل باب على قدر أعمالهم»، فقالت: واللهِ إني امرأة مسكينة لا مال لي، ولا لي إلا سبعة أعْبُدٍ، أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم على باب من أبواب جهنم حرّ لوجه الله تعالى، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله: بشّر الإعرابية أن الله قد غفر لها وحرم عليها أبواب جهنم، وفتح لها أبواب الجنة كلها»(٢).

وقال وهب: «بين كل باب مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد من الذي فوقه بسبعين ضعفاً»(٣).

وقال القرطبي: «أبواب النار حديد فرشها الشوك، غشاوتها الظلمة، أرضها نحاس ورصاص وزجاج. النار من فوقهم والنار من تحتهم، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام جتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة، قد مزجت بغضب الله»(٤).

وأبواب النار السبعة لها أسماء وأهوال وسكان لدركاتها، وهي كما قال

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٢).

(٢) التذكرة ص ٤٤٧.

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤١).

(٤) التذكرة ص ٤٤٩.

العلماء: «أعلى الدركات جهنم، ثم لظى، ثم الحُطَمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية»[1].

فالباب الأول: يسمى جهنم، وجهنم اسم أعجمي وقد عُرّب، وأصله جُهنَّام، ونقل أيضاً أنه عربي، وقال الفيروزابادي: جهنم أي بعيدة القعر[2]. وهي مأخوذة من قول العرب بئر جَهنّام وجُهنّام أي بعيدة القعر. وقد ذكر في القرآن سبع وسبعون مرة، منها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢]. وقال القرطبي: «إنما سمي جهنم لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء، فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره»[3]. وأما سكانه فهم أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ قال العلماء: «أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ»[4].

والباب الثاني: يسمى لظى، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]. أي أنها تنتزع جلدة الرأس بشدة. يقال: أكله اليدان والرجلان[5]. وقال الضحاك: «تَفْري اللحم عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً»[6]. وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع[7].

واشتقاق لظى من التلظي، والتظاء النار التهابها، وتلظيها تلهبها، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤]. وقيل: كان أصلها ﴿لظظ﴾، أي ما دامت لدوام عذابها، فقلبت إحدى الظائين ألفاً فبقيت لظى، وقيل

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٢).
(٢) القاموس المحيط (جهنم، ص ١٣٨٢).
(٣) التذكرة ص ٤٤٨.
(٤) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٢).
(٥) التذكرة ص ٤٤٨.
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٨).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٧).

هي الطبقة الثانية من طبقات جهنم[1]. وأما سكانه فهم إبليس وأعوانه وأولياؤه.

والباب الثالث: يسمى الحطمة، لأنه يحطم كل شيء يدخل إليه، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٤ - ٧]. قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ رد لما توهم الكافر، أي لا يخلد ولا يبقى له مال. ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ أي ليطرحنّ وليلقينّ. وقرأ الحسن وابن محيصن: (لَيُنْبَذَانِّ) بالتثنية، أي هو وماله. وعن الحسن أيضاً (لَيُنْبَذَنَّه) على معنى لينبذن ماله. وعنه أيضاً بالنون (لَنَنْبِذَنَّهُ) على إخبار الله تعالى عن نفسه، وأنه ينبذ صاحب المال. وعنه أيضاً (لَيُنْبَذُنَّ) بضم الذال، على أن المراد الهمزة واللمزة والمال وجامعه. ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ وهي نار الله، وسميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمُه. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ على التعظيم لشأنها والتفخيم لأمرها. ثم فسرها ما هي فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ أي التي أوقد عليها ألف عام وألف عام وألف عام فهي غير خامدة أعدها الله للعصاة. ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع ما في أجسادهم، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد، خلقوا خلقاً جديداً فرجعت تأكلهم. وخصّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، أي أنه في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝٧٤﴾ [طه: ٧٤]. فهم أحياء في معنى الأموات. وقيل: معنى ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ أي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه[2].

وأما سكان هذا الدرك فهم الصابئون. وهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، وليس لهم دين. قال مجاهد: «وقيل هم فرقة من أهل الكتاب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨٤، ١٨٥/باختصار).

يقرأون الزبور». وعن الحسن أنهم قوم يعبدون الملائكة. وقال عبد الرحمن بن زيد: «هم أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله. قال: ولم يؤمنوا برسول. فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون لأصحاب النبي ﷺ: «هؤلاء الصابئون»، يشبهونهم بهم في قول لا إله إلا الله». قال القرطبي: «والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكر بعض العلماء أنهم موحّدون، ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة». واختار الرازي: «أنهم قوم يعبدون الكواكب، بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها»(١).

والباب الرابع: يسمى السعير، يقال: سَعَر النار أي أوقدها، وقد ورد اسم «السَّعِير» في القرآن الكريم ستة عشر مرة، منها قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. وقال القرطبي: «إنما سمي السعير لأنه يسعر بهم، ولم يطف منذ خلق الله فيه ثلاثمائة قصر، في كل قصر ثلاثمائة بيت، في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال»(٢).

ويسكن هذا الدرك مشركو العرب والنصارى، ومن عَبَدَ الأوثان من دون الله، أو من اعتقد أن الله اتخذ ولداً أو صاحبة.

والباب الخامس: يسمى سقر، وسقر مَن سقرته الشمس، وصقرته لوّحته. ويوم مُسْمَقِرّ ومُصْمَقِرّ: شديد الحر(٣). وقد ذكره الله في القرآن الكريم أربع مرات، قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ [المدثر: ٢٦، ٢٧]. وهذه مبالغة في وصفها، أي وما أعلمك أي شيء هي؟ وهي كلمة تعظيم، ثم فسر حالها فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٨] أي لا تترك لهم عظماً ولا لحماً ولا دماً إلا أحرقته. وكرر

---

(١) فقه السنة (٢/٩٧).
(٢) التذكرة ص ٤٤٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٤٧).

اللفظ تأكيداً. وقيل: لا تبقي منهم شيئاً، ثم يعادون خلقاً جديداً، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبداً. وقال مجاهد: لا تبقي من فيها حياً وتذره ميتاً تحرقهم كلما جددوا. وقال السُدَيّ: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً. ثم قال: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٩] أي مغيّرة، من لاحه إذا غيّره[1]. وقال القرطبي: «إنما سمي سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم»[2].

وأما سكان هذا الدرك، فهم اليهود الذين خانوا العهود.

والباب السادس: يسمى الجحيم، وهي النار الشديدة التأجج، وكل نار بعضها فوق بعض، كالجَحمة ويضم، وكل نار عظيمة في مهواة، والمكان الشديد الحر كالجاحِم، وجَحَمها: أوقدها، والجاحم: الجمر الشديد الاشتعال[3]. وقد ذكر«الجحيم» في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢]. أي أوقدت إيقادا شديداً، قال الشاعر:

إذا الجحيمُ سُعِّرتْ نيرانُها ... فَلَها على أهلِ الذّنوبِ زفيرُ

وقال القرطبي: «إنما سمي جحيماً لأنه عظيم الجمرة، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا»[4]. ويسكن هذا الدرك المجوس، وهم قوم يعبدون النار ويقولون: إن للعالم أصلين: النور والظلمة. ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾ [الحج: ١٧].

والباب السابع والأخير: يسمى الهاوية، وهو أبعد النار قعراً، ومن وقع فيه لم يخرج منه أبداً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧٧/١٩).
(٢) التذكرة ص ٤٤٨.
(٣) القاموس المحيط (باب الميم، فصل الجيم ص ١٤٠٣).
(٤) التذكرة ص ٤٤٨.

هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٨، ٩]، أي فمصيره إلى النار. وقال عكرمة: «فأمه هاوية لأنه يهوي فيها على أم رأسه»[1]. ثم قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة: ١٠] أي وما أعلمك أي شيء هي؟ ثم فسر حالها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١١] أي شدة الحرارة.

وأما سكان هذا الدرك فهم المنافقون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ولا شك أن المنافق هو من خفت موازينه لأن أعماله هباء منثوراً، لا يؤجر عليها، فمن الآيتين السابقتين يتطابق أن المنافقين هم الذين تخف موازينهم، وأن الدرك الأسفل من النار هو الهاوية.

المبحث الثاني: سعة النار وبُعْد قعرها

إن قعر النار بعيد، وأعماقها مخيفة، لا يعلم عمقها إلا الله سبحانه وتعالى، وسعتها كبيرة لدرجة أنه سيدخلها أقوام وأمم، فلقد ورد أن بين الباب والآخر من أبواب النار مسافة شاسعة يصعب تقدير مداها، وذلك لما روي عن وهب بن منبه قال: «بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد من الذي فوقه بسبعين ضعفاً»[2].

فإذا كانت المسافات بين الأبواب على مثل هذا الوصف، فالنار ذاتها تمثل الهول في ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً وما تفضي إلى قرارها»[3]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «سمع رسول الله ﷺ صوتاً فهاله - أي أفزعه - ذلك، فأتاه جبريل، فقال: ما هذا الصوت يا جبريل؟ قال: هذه صخرة هَوَت من شفير جهنم منذ سبعين عاماً، فهذا حين بلغت قعرها،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٦٧).

(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤١).

(٣) رواه الترمذي (١٠/باب ما جاء في صفة النار).

أحب الله أن يسمعك صوتها»[١]. وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن حجراً قذف به في جهنم، لهوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها»[٢].

إن رسول الله ﷺ تكلم في الأحاديث السابقة عن عمق جهنم وبعد قعرها، ولم يتحدث عن بُعد قعر النار جميعاً، أي تحدث عن عمق الدرك الأول وهو جهنم. وهذا موافق لما قاله وهب بن منبه فيكون عمق النار أربعمائة وتسعين سنة إذا كان عمق الدرك الواحد سبعين سنة، والله أعلم.

وورد في بعد قعر النار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك فيه أبداً»[٣]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَسُرادق النار أربعة جدر، كِثَفُ كل جدار مسيرة أربعين سنة»[٤]. قوله (سرادق): أي مكانها المتسع المقام، وقوله (كِثَفُ): أي ثقل وعمق ومقدار ما يسير الراكب في طوله مدة أربعين سنة، وهو ماش لا ينتهي طوله، كناية عن اتساع عمق النار وبُعد سرادقها.

ومع هذا الكبر وهذه السعة وهذا العمق المخيف، فإن الكافرين في ضيق شديد، تضيق عليهم جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]. ذكر ابن المبارك قال: حدثنا محمد بن بشار، عن قتادة ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ قال ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: «إن جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزجّ على الرمح»[٥]. ومعنى

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٣٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٦).

(٤) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٣).

(٥) التذكرة ص ٤٥٦.

(مُقَرَّنِينَ) مكتفين(١).

ومع هذه السعة وهذا الضيق الذي هم فيه أهلها، فإن الله قد وعد أنها ستملأ، فقد قال الله تعالى مخاطباً إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]. وقال عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]. وقرأ نافع وأبو بكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بالياء اعتباراً بقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾، والباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى، وهي نون العظمة. وقرأ الحسن ﴿يَوْمَ أَقُولُ﴾ وانتصب (يَوْمَ) على معنى ما يبدل القول لدي يومَ... وقيل بفعل مقدّره معناه: وأنذرهم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ لما سبق من وعده إياها أنه يملؤها. وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده، والتنبيه لجميع عباده. ﴿وَتَقُولُ﴾ جهنم ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي ما بقي فيّ موضع للزيادة. وقال الثعلبي: «يحتمل قوله ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ جحداً مجازه من مزيد، ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الاستزادة، أي هل من زيادة فأزاده، وإنما صح للوجهين، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد وطرفاً من النفي»(٢).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه فتقول: قط قط»(٣).

قوله «يلقى في النار»: أي يلقى فيها وتقول أي النار: هل من مزيد؟ قوله «حتى يضع»: أي الرب قدمه، ورواية مسلم تفسير مثل ما ذكرناه، فروي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك (رضي الله عنهم) عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك» الحديث... فتقول أي النار: قط قط أي حسبي حسبي،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٣).
(٢) عمدة القاري (١٩/باب قوله: وتقول هل من مزيد).
(٣) أخرجه البخاري في التوحيد.

وفيه ثلاث لغات: إسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة، وقيل أن قط صوت جهنم، وإنما تقول هل من مزيد تغيظاً على العصاة[١]. وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «تحاجّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابٌ أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً»[٢].

قوله: «حتى يضع»، لم يبين فيه الواضع من هو، وقد بيّنه في رواية مسلم حيث قال: «حتى يضع الله رجله»، والأحاديث يفسر بعضها بعضاً قوله: «ويزوى»، على صيغة المجهول بالزاي أي يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على من فيها[٣].

وقال القرطبي: «قوله: حتى يضع فيها قدمه - وفي رواية أخرى: حتى يضع عليها، وفي أخرى: رجله، ولم يذكر فيها ولا عليها - فمعناه عبارة عمّن تأخر دخوله في النار من أهلها، وهم جماعات كثيرة، لأن أهل النار يلقون فيها فوجاً فوجاً، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]. ويؤيده أيضاً قوله في الحديث: لا يزال يلقى فيها»[٤].

وقال صاحب عمدة القاري الإمام بدر الدين العينيّ: «اعلم أن هذه الأحاديث من مشاهير أحاديث الصفات، والعلماء فيها على مذهبين، أحدهما: مذهب المفوضة، وهو الإيمان بأنها حق على ما أراد الله ولها

---

(١) عمدة القاري (١٩/١٨٧).
(٢) المرجع السابق.
(٣) عمدة القاري (١٩/١٨٨).
(٤) التذكرة ص ٤٩٨.

معنى يليق به، وظاهرها غير مراد، وعليه جمهور السلف وطائفة من المتكلمين، فعلى هذا اختلفوا في تأويل القدم والرجل، فقيل: المراد بالقدم هنا المتقدم وهو سائغ في اللغة، ومعناه حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب، وقيل: المراد قدم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم، أو ثَم مخلوق اسمه القدم، وقيل: المراد به الموضع، لأن العرب تطلق اسم القدم على الموضع، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢٠] أي موضع صدق. فإذا كان يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عُصي الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب موضعاً من الأمكنة ومن الأمم الكافرة في النار فتمتلئ، وقيل: القدم قد يكون اسماً لما قدم من شيء، كما تسمي ما خبطت من الورق خبطاً، فعلى هذا من لم يقدم إلا كفراً أو معاصي على العناد والجحود، فذاك قدمه وقدمه ذلك هو قدمه للعذاب والعقاب الحالِّين به، والمعاندون من الكفار هم قدم العذاب في النار، وقيل: المراد بوضع القدم عليها نوع من الزجر عليها والتسكين لها، كما يقول القائل لشيء يريد محوه وإبطاله: جعلته تحت رجلي ووضعته تحت قدمي. وقال الكرماني: يحتمل أن يعود الضمير إلى المزيد، ويراد بالقدم الآخِر، لأنه آخر الأعضاء، أي حتى يضع الله آخر أهل النار فيها»[1].

وهذا القول - أي الثاني: وهو المؤول - أصح من الأول، لأنه تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، والله أعلم.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧٢]. قال مجاهد: «يقال سجرت التنور أي أوقدت، وسجرته ملأته ومنه: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور: ٦] أي المملوء. فالمعنى على هذا تملأ بهم النار»[2]. وعن مسلم بن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة

(١) عمدة القاري (١٩/١٨٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٣٢، ٣٣٣).

بن غزوان، وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولّت جداً ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصببها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه ذكر لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، واللهِ لتملأن[1].

المبحث الثالث: وقود النار وشدة التهابها

إن الله تبارك و تعالى أخبر عن وقود نار الآخرة في القرآن الكريم فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]. والوقود: ما ترفع به النار. وأما المصدر فمضموم كما قرأ الحسن: ﴿وُقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، وقد جاء فيه الفتح. قال سيبويه: وسمعنا من العرب من يقول: وقدت النار وُقوداً عالياً. والوَقود أكثر، والوَقود: الحطب[2]. وقال الكسائي والأخفش: الوقود (بفتح الواو): الحطب، و(بالضم): الفعل، يقال: وَقدت النار تَقِد وُقوداً (بالضم) ووَقداً وقِدة ووقيداً ووَقداً، ووَقداناً أي توقدت. وأوقدتُها أنا واستوقدتها أيضاً. والإتقاد مثل التوقّد، والموضع مَوْقِد، مثل مجلس، والنار مُوقدة. والوَقدة: شدة الحر، وهي عشرة أيام أو نصف شهر. قال النحاس: يجب على هذا ألا يقرأ إلا ﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو، لأن المعنى حطبها، إلا أن الأخفش قال: وحكي أن بعض العرب يجعل الوَقود والوُقود بمعنى الحطب والمصدر. قال النحاس: وذهب أن الأول أكثر، قال: كما أن الوَضوء الماء، والوُضوء المصدر[3].

وأما في ذكر (الَّتِي) هنا، فإن قيل: صلة (الذي) و(التي) يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس

---

(١) التذكرة ص ٤٦٣.

(٢) الكشاف (١/١٣٢/بتصرف).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٣٦).

والحجارة؟ قال صاحب الكشاف: لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله ﷺ أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. فإن قيل: فلِمَ جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم، وههنا معرفة؟ فقال[١]: تلك الآية نزلت بمكة، فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً.

و﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها، أو إحماء الحجارة، أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك (أعاذنا الله منها) توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار، وبأنها لإفراط حرّها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به النار، اشتعلت وارتفع لهبها. وهي نيران شتى، منها نار توقد بالناس والحجارة، يدل ذلك على تنكيرها في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] وقوله: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤]. ولعل لكفار الشياطين ناراً وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. فان قيل: لَمَ قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً. قال[٢]: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً أو عبدوها من دونه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وهذه الآية مفسِّرة لما نحن فيه. فقوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في معنى الناس والحجارة، و﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ في معنى وقودها[٣].

و﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ هي حجارة الكبريت، وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة

(١) أي صاحب الكشاف وهو الزمخشري.
(٢) أي الزمخشري.
(٣) الكشاف (١٣٢/١، ١٣٣/بتصرف).

الدخان، وشدة الإلتصاق بالأبدان، وقوة حرّها إذا حَمِيَت. وقيل: المراد بالحجارة: الأصنام - كما مر - لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي حطب، وهو ما يلقى في النار مما تُذكى به، وعليه فيكون الناس والحجارة وقوداً للنار على التأويل الأول، وعلى التأويل الثاني يكونون معذبين بالنار والحجارة. وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة، والله أعلم(١).

وقال أحد العلماء: «قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. إن الله تبارك وتعالى تحدث لنا في هذه الآية عن وقود هذه النار - أي نار الآخرة - ونحن نعلم أن نار الدنيا توقد بمواد، هذه المواد إما غازية أو سائلة أو خشبية أو فحم حجري، فحينما يقول لك تلك النار وقودها الناس والحجارة، فتصور تلك النار، تصور ناراً تشتعل بالبشر، إذاً تلك النار غير هذه النار. فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن هذه النار - أي نار الدنيا - جزء من مئة جزء من جهنم»(٢). وانتبه إلى كلمة نار الدنيا، إن رسول الله ﷺ لا يقصد النار الناتجة عن الشجر أو الفحم أو غيرها من المواد، إنما يقصد النار التي تستطيعون إشعالها في الدنيا، ونحن نعلم أن الأفران الذرية الآن فيها حرارة تصل إلى آلاف الدرجات من الحرارة، هذه الآلاف درجات جزء من مئة جزء من جهنم».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن ناركم هذه، وكل نار أوقدت، أو هم يوقدونها، جزء من سبعين جزء من جهنم»(٣). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال فضّلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»(٤).

---

(١) التذكرة (٤٧٦، ٤٧٧/باختصار).

(٢) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٢).

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٢٣).

(٤) رواه البخاري (١٣/٣٠٥٥).

قوله ﷺ: «ناركم جزء» زاد مسلم في روايته جزء واحد. قوله ﷺ: «من سبعين جزءاً»، في رواية لأحمد: من مائة جزء، والجمع بأن المراد المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص أو الحكم الزائد، زاد الترمذي من حديث أبي سعيد: لكل جزء منها حرّها. قوله: «إن كانت لكافية» إن هي المخففة من الثقيلة، أي إن نار الدنيا كانت مجزئة لتعذيب العصاة. قوله: «فضلت عليهن» كذا هنا، والمعنى على نيران الدنيا، وفي رواية مسلم: فضلت عليها، أي على النار. قال الطيبي: إنما أعاد ﷺ حكاية تفضيل نار جهنم على نار الدنيا، إشارة إلى المنع من دعوى الأجزاء، أي لا بد من الزيادة ليتميز ما يصدر من الخالق على ما يصدر من خلقه. قوله: «مثل حرها»، زاد أحمد وابن حبان من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: «وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما انتفع بها أحد»، ونحوه للحاكم وابن ماجه عن أنس وزاد: «فإنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها».

وقالوا: «النار أربعة أصناف: صنف يأكل و لا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام. وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع: نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا، ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار، ونوع له إحراق بلا نور وهي نار جهنم، ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام»[1].

وأما لونها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أترونها حمراء كناركم، لهي أسود من القار»[2]. والقار: الزيت. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال: يا جبريل ما لي أراك متغير اللون؟ فقال: ما جئتك حتى أمر الله عزّ وجل بمنافخ النار، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل صف لي النار، وانعت لي جهنم، فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر

(١) روح المعاني (١٦/٢١١).

(٢) رواه مالك في الموطأ (كتاب الجامع/١٨٢٦).

بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطف لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض جميعاً من حره»[١]. وفي رواية أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم»[٢].

إن الثلاثة آلاف سنة التي أوقدت عليها النار حتى اسودت، اليوم الواحد منها كألف سنة مما يمر على بني البشر من السنين، لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، والله أعلم.

وفي شدة حرها زاد رزين: «ولو أن أهل النار أصابوا ناركم هذه لناموا فيها أو قال: لقالوا فيها»[٣]. وقال كعب: «لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب، لغلى دماغه حتى يسيل من حرها»[٤]. وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن غرباً من جهنم في وسط الأرض لأذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شرارة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرّها من بالمغرب»[٥]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون، ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم»[٦].

ولقد وصف الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم شدة حر نار جهنم

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٥٧، ٤٥٨).
(٢) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٤).
(٣) المرجع السابق.
(٤) التذكرة ص ٤٦٣.
(٥) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٢).
(٦) مختصر زوائد مسند البزار (٢/٢٢٤٤).

بأوصاف كثيرة فقال: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]. لقد وصف الله عذابها أنه عذاب سَموم، وهي الريح الحارة، يقال منه سُمّ يومنا فهو مسموم والجمع سمائم[١].

وقال: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٨]. يعني تتقطع وينفصل بعضها عن بعض، قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: تتفرق. ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: من الغليان[٢].

وقال: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٤]. حامية أي شديدة الحرّ أي قد أوقدت وأحميت المدة الطويلة. ومنه حَمِي النهار (بالكسر)، وحمي التنور حمياً فيهما، أي اشتد حرّه. وحكى الكسائي: اشتد حرّ الشمس وحمْوُها: بمعنى. وقيل: قد اختلف في المراد بالحامية ها هنا على أربعة أوجه: أحدهما: أن المراد بذلك أنها دائمة الحَمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها. الثاني: أن المراد بالحامية أنها حِمىً من ارتكاب المحظورات، وانتهاك المحارم. الثالث: أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها، أو ترام ملامستها. الرابع: أنها حامية حِمَى غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام[٣].

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢]. أي أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحمائها. يقال: سعّرتُ النار وأسعرتُها. وقرئ بالتشديد لأنها أوقدت مرة بعد مرة. قال قتادة: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم[٤].

وقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢١٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٨، ٢٩).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٦٣).

﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣٣]. قوله ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي دخان ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب. ثم وصف الظل فقال: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي لا يدفع من لهب جهنم شيئاً. واللهب: ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر. وقيل: إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين، قاله الضحاك. وقيل: اللهب ثم الشرر ثم الدخان، لأنها ثلاثة أحوال، هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدت. وقيل: عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب. فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، وأما الدخان فيقف على رؤوس المنافقين، وأما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكافرين. وقيل: هو السرادق، وهو لسان من نار يحيط بهم، ثم يتشعب منه ثلاث شعب، فتظللهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار. وقيل: هو الظل من يحموم، قال تعالى: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٢ - ٤٤][١].

ثم وصف النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ الشرر: واحدته شررة. والشرار واحدته شرارة، وهو ما تطاير من النار في كل جهة، وأصله من شرَّرت الثوب إذا بسطته للشمس ليجفّ. والقصر: البناء العالي، و﴿كَالْقَصَرِ﴾ بإسكان الصاد: أي الحصون والمدائن في العظم وهو واحد القصور[٢]. وقيل: القَصْر: الجبل، فشبّه الشرر بالقصر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر، وهي الإبل[٣].

ووجهه أن النار خلقت من النور، فهي نار مضيئة، فلما خلق الله جهنم وهي موضع سلطانه وازدادت حدة، وصارت أشد سواداً في الموقف رمت بشررها على أهل الموقف غضباً لغضب الله، والشرر هو أسود لأنه

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٦٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٦٤).

من نار سوداء، فإذا رمت النار بشررها فإنها ترمي الأعداد به، فهن سود من سواد النار، لا يصل إلى الموحدين لأنهم في سرادق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف، وهو الغمام الذي يأتي فيه تبارك وتعالى، ولكن يعاينون ذلك الرمي، فإذا عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنهم في رأي العين منهم حتى يروها صفراء، ليعلم الموحدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه. وكان ابن عباس يقول: الجمالات الصفر حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى يكون كأوساط الرجال، ذكره البخاري. وقرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ وبقية السبعة ﴿جِمَالاتٌ﴾ قال الفراء: يجوز أن تكون الجمالات جمع جمال كما يقال: رجل ورجال.ورجالات. وقيل: شبهها بالجمالات لسرعة سيرها. وقيل: لمتابعة بعضها بعضاً[1].

ومع طول دوامها، فإنها تخمد، فيزيدها الله نيراناً كي تسعر، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أي سكنت، عن الضحاك وغيره. قال مجاهد: طفئت. يقال: خبت النار تخبوا خبواً أي طفئت، وأخبيتها أنا. ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ أي نار تتلهب. قال كعب: «غيّ واد في جهنم أبعدها قعراً وأشدها حراً فيه بئر يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تعالى تلك البئر فتسعر بها جهنم». وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم و لا تخفيف من عذابهم. وقيل: إذا أرادت أن تخبو[2].

والعجيب أن نار جهنم هذه، التي لها ما وصف من قوة الحرارة وشدة اللهب وضخامة الشرر، تحرق الجلود والجُنوب والظهور وكل أجزاء الأجسام، لا تميت أبداً. فالذين كفروا وأمثالهم من الذين استحقوا دخول النار، وذوق عذابها لا يموتون فيها ولا يحيون، وذلك ليدوم عليهم العذاب وليتتابع إحساسهم بالنكال والخزي والآلام، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٦٤، ١٦٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٣٣، ٣٣٤/بتصرف).

عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]. ويقول: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٠ - ١٣]. وبقاء الكافرين والملحدين وأمثالهم في النار لا يموتون ولا يحيون، دليل آخر من طريق مفهوم على اتساع أمداء النار وترامي أطرافها، وبخاصة أنها ستتسع لإيواء عشرات المليارات من الأجساد البشرية.

المبحث الرابع: صوت النار وكلامها

إن نار جهنم - كما مر - توقد وتتلهب منذ ثلاثة آلاف سنة، كل يوم منها كألف سنة. وإن لتوقدها ولتلهبها صوتاً، قال الله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ [الملك: ٧]. فقوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ يعني الكفار، ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ أي صوتاً. قال ابن عباس ﷺ: الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها، تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف[1]. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي تغلي. قال مجاهد: تفور بهم كما يفور الحَبّ القليل في الماء الكثير. وقال ابن عباس: تغلي بهم على المرجل، وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب، كما تقول: فلان يفور غيظاً[2]. وقال ابن حجر: تزفر وتغلي بهم كما تغلي القدور[3].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢]. أي حسّ النار وحركة لهبها. والحسيس والحسّ: الحركة والصوت[4].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]. قال الكلبي: سمعوا لها تغيظاً كتغيظ بني آدم وصوتاً

---

(١) أي من في النار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢١١، ٢١٢/باختصار).

(٣) عمدة القاري (١٩/باب قوله: تميز).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٤٥/بتصرف).

كصوت الحمار. وقيل: فيه تقديم وتأخير، سمعوا لها زفيراً وعلموا لها تغيظاً. وقال قطرب: التغيظ لا يُسمع ولكن يُرى والمعنى: رأوا لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً. وقيل: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ أي فيها، أي سمعوا فيها تغيظاً وزفيراً للمعذَّبين[١]. والغيظ أشد الغضب والتغيظ هو إظهار الغيظ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع كما في هذه الآية، وقيل: أريدَ بالسماع مطلق الإدراك كأنه قيل: أدركوا لها تغيظاً ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ وهو إخراج النفس بعد مدّه[٢].

ولقد ورد في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أن نار جهنم تتكلم، فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠]. قوله ﴿وَتَقُولُ﴾ أي جهنم ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي ما بقي في موضع للزيادة، ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الاستزادة[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول: قط قط»[٤]. قيل: أن قط صوت جهنم وإنما تقول هل من مزيد تغيظاً على العصاة[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين نفس، في الشتاء ونفس في الصيف، فشِدّة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحرّ من سَمومها»[٦].

وقال ﷺ: «استعيذوا بالله من جب الحزن، قالوا: يا رسول الله: وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تستعيذ منه كل يوم أربعمائة مرة أعد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٣/باختصار).
(٢) روح المعاني (٨/٣١٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧/باختصار).
(٤) عمدة القاري (١٩/٣٤٢).
(٥) المرجع السابق.
(٦) رواه ابن ماجه (٢/٤٣١٩).

للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يراءون الأمراء الجَوَرة»[1].

وقال ﷺ: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[2].

وقال ﷺ: «إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة، أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفّونها، وهي تقول: وعزة ربي ليمكننّ بيني وبين أزواجي»[3].

وقال النبي ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل: يا رسول الله أوَلجهنم عينان؟ فقال: أما سمعتم الله يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]»[4]. قال ابن العربي المالكي في شرح الحديث: «إن قدرة الله تعالى متسعة لتركيب ما ذكر وجوده بجهنم من السمع والبصر والنطق بالعبارات واللسان، وجهنم أجسام، وكل جسم يحتمل ذلك ولا تشترط فيه الهيأة ولا البلة ولا الرطوبة، وإنما يأتي ما يشاهد من ذلك على هذه الوتيرة عادة، والبارئ يخرق العادات ويصرف المقدورات»[5].

المبحث الخامس: ما جاء في أن النار جبال وأودية وأنهار وغير ذلك

إن النار - كما جاء أنّ - فيها جبال وأودية وشعاب، فقد كان من أصحاب النبي ﷺ من قدمائهم قال: «إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف بئر، في كل بئر سبعون ألف

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٠٥).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/٩٣).
(٣) المطالب العالية (٤/٤٦٦٨).
(٤) رواه الترمذي (١٠/أبواب صفة جهنم).
(٥) المرجع السابق.

ثعبان، في شِدْق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله»[1]. وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «في النار سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف جُحر، وفي كل جُحر حية تأكل وجوه أهل النار»[2].

فمن جبال جهنم: صَعود، ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، فقال عن أحد كفار مكة: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧]. قوله ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أي سأكلفه. وكان ابن عباس يقول: سألجئه، والإرهاق في كلام العرب: أن يحمل الإنسان على الشيء[3]. ﴿صَعُودًا﴾ عرّفه رسول الله ﷺ فقال: «الصَّعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوي به كذلك فيه أبداً»[4]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك»[5]. وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «هو جبل في النار...»[6]. وقال أحد العلماء: «إن هنالك جبل في النار يكلّف الكافر الذي نزلت به الآية وأمثاله بالصعود عليه، فإذا وضع يديه ليصعد ذابت يداه من حرارة الجبل، ثم تعود كما كانت، ثم يضع رجليه فتذوبان، فتعودان كما كانتا، فيبقى صاعداً سبعين سنة على هذا الحال. وكأن الله يلهمه: أنك إذا وصلت إلى القمة تنتهي من هذا العذاب، فيحاول ويحاول إلى أن يصل إلى القمة، فإذا وصل إلى القمة بعد سبعين سنة، هوى إلى القعر». وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾: «هو جبل من نار يوضع أعداء الله على وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٠).
(٢) المرجع السابق.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٧٣).
(٤) رواه الترمذي (١٠/أبواب صفة النار/٤٦).
(٥) الترغيب والترهيب (٤/٤٤٦).
(٦) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٨).

أعناقهم، مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية وقوف على رؤوسهم، بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان»[1].

قوله: الثقلان، أي الذين في النار، لأن في النار إنساً وجناً، ولأن أهل الجنة كما قال تعالى عنهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، والله أعلم.

وقال ابن عباس: صعود صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه. وقال السدي: صعود، صخرة ملساء في جهنم، يكلف الكافر أن يصعدها[2]. وقال مجاهد: سأرهقه صعوداً، أي مشقة من العذاب. وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه، واختاره ابن جرير[3].

ومن جبال النار أيضاً: العقبة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١٢، ١٣]. وقال ابن عمر: هذه العقبة جبل في جهنم. وعن أبي رجاء قال: بلغنا أن العقبة مصعدها سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة. وقال الحسن وقتادة: هي عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحِمُوها بطاعة الله[4].

وقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤]. قال ابن زيد: اليحموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار، ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ بل حار لأنه من دخان شفير جهنم، ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ عذب، عن الضحاك. وقال سعيد بن المسيّب: ولا حسن منظره، وكل ما لا خير فيه فليس بكريم[5].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا

---

(١) التذكرة ص ٤٤٩.
(٢) نهاية البداية والنهاية (١٥٨/٢).
(٣) المرجع السابق.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢٠).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٧).

وهو سكران دخل القبر سكران، وبعث من قبره سكران، وأمر به إلى النار سكران، إلى جبل يقال له سكران، فيه عين يجري منها القيح والدم، وهو طعامهم وشرابهم ما دامت السماوات والأرض»[1].

ومن أودية النار: ويل، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١]. وقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١]. وقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [إبراهيم: ٢]. وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] والويل: حلول الشر، وكلمة عذاب، وواد في جهنم. وقد ذكر (وَيْل) في القرآن الكريم سبع وعشرون مرة. وقال رسول الله ﷺ: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره «رواه أحمد[2] والترمذي إلا أنه قال: «واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»[3]. وقال ﷺ: «الويل واد من أودية جهنم، أشدها حراً وأبعدها قعراً وأكثرها حيات وعقارب»[4]. وقال ﷺ: «إن في جهنم وادياً تستغيث أهل النار من حرّه في كل يوم خمس مرات، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حرّه، يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والمطففون في المكيال وأهل بخس الميزان، فويل لمن باع الجنة التي عرضها السماوات والأرض بحبة أو حبتين»[5]. وقال ابن عباس: «إنه واد في جهنم، يسيل فيه صديد أهل النار»[6].

ومن أودية جهنم التي تحدث الله عنها في القرآن: غيّ وأثام، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ

---

(١) الترغيب والترهيب (٣/٢٦٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/١١٣١٥).

(٣) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٥، ٤٦٦).

(٤) جزء من حديث طويل (كتاب قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٤).

(٥) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٨٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٢٥٠).

لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]. قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ قال عبد الله بن مسعود: هو واد في جهنم. والتقدير عند أهل اللغة فسوف يلقون هذا الغيّ، والأظهر أن الغيّ اسم للوادي سمي به لأن الغاوين يصيرون إليه. وقال كعب: غيّ واد في جهنم، أبعدها قعراً وأشدها حراً، فيه بئر يسمى البهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تعالى تلك البئر فتسعر بها جهنم. وقال ابن عباس: غيّ واد في جهنم، وأن أودية جهنم لتستعيذ من حرّه، أعد الله ذلك الوادي للزاني المصرّ على الزنى، ولشارب الخمر المدمن عليه، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولداً ليس منه[(١)]. وعن ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ قال: «واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات»، وفي رواية قال: «نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم»[(٢)]. وعن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ أنها سئلت عن قول الله عز وجل ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ قالت: «نهر في جهنم»[(٣)]. وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن صخرة وزنت عشر خلفات قذف بها في شفير جهنم، ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى تنتهي إلى غيّ وأثام. قيل: وما غيّ وأثام؟ قال: بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾»[(٤)]. وذكر بعض المفسرين في غيّ وأثام: أنهما واديان من أودية جهنم[(٥)]. وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد: إن أثاماً واد في جهنم، جعله الله عقاباً للكفرة. وقال السدي: جبل فيها[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٢٥/باختصار).
(٢) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٧، ٤٦٨).
(٣) التذكرة ص ٤٧٠.
(٤) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٢).
(٥) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٠).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٧٦).

ومن أودية جهنم التي ذكرها الله في كتابه، قال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال: واد من قيح ودم[١]. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ هو نهر من قيح ودم. وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد: هو واد من أودية جهنم. وزاد عبد الله بن عمرو: يفرق يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة[٢].

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤]. قال كعب: «آن واد من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، فذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾»[٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]. اختلف في الفلق فقيل: سجن في جهنم، قاله ابن عباس. وقال أبيّ بن كعب: بيت في جهنم إذا فتح صاح أهل النار من حره. وقال الحُبُلي أبو عبد الرحمن: هو اسم من أسماء جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم. وقال عبد الرحمن: هو اسم من أسماء جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم. وقال عبد الله بن عمر: شجرة في النار. وقال سعيد بن جبير: جب في النار[٤]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ قال: «هو سجن في جهنم، يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وإن جهنم لتعوذ بالله منه»[٥]. وعن عمرو بن عتبة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ فقال: «يا ابن عتبة أتدري ما الفلق؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: بئر في جهنم،

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٨).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٠).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧٥، ١٧٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٥٤).
(٥) روح المعاني (٣٠/٢٨٠).

فإذا سعرت البئر فمنها تسعر جهنم، وإن جهنم تتأذى منه كما يتأذى ابن آدم من جهنم»[1].

وقال تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] أي فبعداً لهم من رحمة الله. وقال سعيد بن جبير وأبو صالح: واد في جهنم يقال له السَّحق. وقرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿فَسُحُقاً﴾ بضم الحاء[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله من جب الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تستعيذ جهنم منه كل يوم أربعمائة مرة، أعد للمرائين بأعمالهم، وإنّ من أبغض القراء إلى الله، الذين يراءون الأمراء الجَوَرة»[3]. وقال ابن كثير: «إن رواية الترمذي فيها (مائة مرة) بدل (أربعمائة مرة) المذكورة في رواية أبي هريرة السابقة، والمعنى: أنّ إنّ جهنم تستعيذ من جب الحزن في كل يوم مقدار يوم من أيام الدنيا (مائة مرة) أو (أربعمائة مرة)، والعدد في مثل هذا مصروف عن التحديد إلى معنى التكثير»[4]. وقال ابن مسعود: «أيّ أهل النار أشد عذاباً؟ فقال رجل: المنافقون، قال: صدقت، قال: فهل تدري كيف يعذبون؟ قال: يجعلون في توابيت من حديد تطبق عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار، في تنانير أصغر من الرخ[5]، يقال له جب الحزن، فيطبق على أقوام بأعمالهم آخر الأبد»[6]. وقال النبي ﷺ: «إن في جهنم وادياً يسمى جب الحزن، فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسود»[7].

---

(١) روح المعاني (٢٨٠/٣٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٨).
(٣) نهاية البداية والنهاية (١٥٥/٢).
(٤) المرجع السابق.
(٥) قطعة من قطع الشطرنج.
(٦) نهاية البداية والنهاية (١٤٥/٢).
(٧) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٥٦.

وقال ﷺ: «إن في النار وادياً يقال له لملم، فيه حيّات كل حية نحو رقبة الجمل طولها مسيرة شهر»[١]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في جهنم لوادياً يقال له لملم وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حرّه»[٢].

وقال النبي ﷺ: «إن في جهنم وادياً يقال له هبهب، حق على الله أن يسكنه كل جبار، فإيّاك يا فلان أن تكون ممن يسكنه»[٣]. وعن رسول الله ﷺ قال: «إن في جهنم واد في ذلك الوادي بير يقال له هبهب، حق على الله أن يسكنها كل جبار، فإياك أن تكون منهم يا بلال»[٤]. وقال السمرقندي في عذاب المنافقين: «فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار، فينتهي بهم إلى جب الحزن، في ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب، فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار على تلك البئر صخرة من كبريت، في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها، فتأكل النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر، وتوضع عليهم تلك الصخرة، فلا يخرجون منها أبداً»[٥].

وقال كعب الأحبار: «إن في النار لبئراً، ما فتحت أبوابها بعد، مغلقة، ما جاء على جهنم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به ولا صبر لها عليه، وهي الدرك الأسفل من النار»[٦].

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٥٦.
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٦).
(٣) المرجع السابق.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/كتاب الأهوال/٥٩٧).
(٥) بستان الواعظين ص ٧٩.
(٦) التذكرة ص ٤٤٤.

وعن عبد الجبار الخولاني قال: «قدم علينا رجل من أصحاب النبي ﷺ دمشق، فرأى ما فيه الناس من الدنيا، فقال: وما يغني عنهم؟ أليس من ورائهم الغلق؟ قيل: وما الغلق؟ قال: جب في جهنم إذا فتح هرب منه أهل النار»(١).

وروي: «أن شَرَبة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال يسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرّها»(٢). وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة مهاجري، وفيها مضجعي ومنها مخرجي، حق على أمتي حفظ جيراني فيها، من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة، ومن ضيّعها أورده الله حوض الخبال، قيل: وما حوض الخبال؟ قال: حوض من صديد أهل النار»(٣).

وعن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسِّحر. ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة. قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فُروجهنّ»(٤).

وقال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صُوَر الناس، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٥). والأنيار جمع نار، وأصلها الأنوار ولكن عدل عن الواو إلى الياء منعاً للالتباس.

وعن كعب الأحبار أنه قال: «هل تدرون ما غساق؟ قالوا: لا، قال: إنه عين في جهنم تسيل إليه حُمة كل ذي حُمة من حية أو عقرب أو غير

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٠).
(٢) الكبائر ص ٩٦.
(٣) التذكرة ص ٤٧٢.
(٤) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٦).
(٥) أخرجه الترمذي (٤/كتاب صفة القيامة/٦٥٥).

ذلك، يستنقع[1]، يؤتى بالآدمي فيغمس فيه غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده عن العظام، ويعلق جلده ولحمه في كعبه، فيجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه»[2].

وعن شُفَيّ بن ماتِع قال: «إن في جهنم قصراً يقال له هوى، يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]»[3].

وروى البيهقي في سند متصل عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: كان يزيد بن شجرة رجلاً من الزهاد، وكان معاوية يستعمله على الجيوش، فخطبنا يوماً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي[4] البزل[5]، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وبما شاء الله من ذلك»[6].

المبحث السادس: سلاسل النار ومقامعها

إن من أنواع عذاب أهل النار أن يقيدوا بالسلاسل والأغلال، ويسحبوا فيها إلى النار، وأن يضربوا بمقامع الحديد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: ٤]. قرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر ﴿سَلَاسِلاً﴾ منوّناً، والباقون بغير تنوين، ووقف قنبل وابن كثير وحمزة بغير ألف، والباقون بالألف[7].

---

(١) يطول مكثه حتى يتغير فيزداد سوءاً وخطورة.
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٢).
(٣) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٩).
(٤) الإبل الخراسانية.
(٥) الناقة حيث يطلع ناب أحدها ويكون ذلك في السنة الثامنة من عمرها.
(٦) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٠).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٢٣).

والسلاسل: القيود، وهي ما يكبَّل فيه الإنسان ومفردها سلسلة، والأغلال: جمع غلّ، تغلّ بها أيديهم إلى أعناقهم، وعن جبير بن نفير عن أبي الدرداء كان يقول: ارفعوا هذه الأيدي إلى الله عز وجل ثناؤه قبل أن تغلّ بالأغلال. قال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب سبحانه، ولكن إذلالاً[١].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: ١٢]. الأنكال: القيود، عن الحسن ومجاهد وغيرهما. واحدها نِكْل، وهو ما منع الإنسانَ من الحركة. وقيل: سمي نِكلاً لأنه يُنَكَّل به. قال الشعبي: أترون أن الله جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله! ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استَفَلَت بهم. وقال الكلبي: الأنكال: الأغلال، والأول أعرف في اللغة[٢].

وأخبر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن عذاب أهل النار بهذه الأغلال والسلاسل فقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]. أي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه إذا دخلوا النار وغُلَّت أيديهم إلى أعناقهم. قال التيمي: لو أن غلاً من أغلال جهنم وضع على جبل لوَهَصَه. وقرأ ابن عباس وغيره ﴿وَالسَّلاَسِلَ﴾ بالنصب ﴿يَسْحَبُونَ﴾ بفتح الياء، والتقدير في هذه القراءة: ويَسحبون السلاسلَ. قال ابن عباس: إذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم[٣].

وأخبرنا سبحانه عن طولها فقال عن أحد أهل النار آمراً الملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢]. قيل: يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٦/١٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/١٥باختصار).

وهو قوله عز وجل ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي شدوه بالأغلال، ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾ أي اجعلوه يصلى الجحيم، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ الله أعلم بأي ذراع، قاله الحسن. وقال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع المَلَك. وقال نَوْف: كل ذراع سبعون باعاً، وكل باع أبعد ما بينك وبين مكة. وكان في رحبة الكوفة. وقال مقاتل: لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص. وقال كعب: إن حلقة السلسة التي قال الله تعالى ذرعها سبعون ذراعاً - أن حلقة منها - مثل جميع حديد الدنيا[(١)]. وقال محمد بن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها وما بقي، ما عدل حلقة من حلق السلسلة التي ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾[(٢)]. وقال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[(٣)]. ويجوز أن يراد ظاهره من العدد المعروف، والله تعالى أعلم بحكمه كونها على هذا العدد، ويجوز أن يراد به التكثير[(٤)]. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال سفيان: بلغنا أنها تخرج من فيه، وقاله مقاتل. والمعنى ثم اسلكوا فيه السلسلة. وقيل: تُدخل عنقه فيها ثم يجرّ بها. وجاء في الخبر: أنها تُدخل من دبره وتخرج من منخريه[(٥)].

وقال الله تعالى عن امرأة أبي لهب: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾ [المسد: ٥]. ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي في عنقها. وجمع الجيد: أجياد، والمسد: أمساد. قال الضحاك وغيره: هنا في الدنيا، فكانت تعيّر النبي ﷺ بالفقر وهي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/١٨).

(٢) التذكرة ص ٤٦٦.

(٣) رواه الترمذي (١٠/كتاب صفة القيامة).

(٤) روح المعاني (٥٤/٢٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/١٨).

تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف، فخنقها بالله عزّ وجلّ به فأهلكها، وهو في الآخرة حبل من نار. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً - وقاله مجاهد وعروة بن الزبير: تدخل من فيها، وتخرج من أسفلها، ويُلْوى سائرها على عنقها[1].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]. والمجرمون هم المشركون، يوم القيامة تراهم مشدودين بالأغلال والقيود، والأصفاد واحدها صَفْد وصَفَد. ويقال صَفَدته صفداً أي قيدته، والاسم الصَّفْد فإذا أردت التكثير قلت: صفّدته تصفيداً[2].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. قيل: ما معنى قوله: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾؟ وهلا قيل تحمى، من قولك حمى الميسم وأحميته، ولا تقول: أحميت على الحديد؟ قال[3]: معناه أن النار تحمى عليها، أي توقد ذات حمى وحرّ شديد، من قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١]، ولو قيل: يوم تحمى، لم يعط هذا المعنى. فان قيل: فإذا كان الإحماء للنار، فلم ذكر الفعل؟ قال: لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله: يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت النار قيل: يحمى عليها، لانتقال الإسناد من النار إلى عليها[4]. وقال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى به جنباه

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٤١، ٢٤٢/باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٨٤).
(٣) الزمخشري صاحب الكشاف.
(٤) الكشاف (٢/٢٥٦/بتصرف).

وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[1].

وعن النبي ﷺ قال: «ينشئ الله لأهل النار سحابة مظلمة، فإذا أشرقت عليهم نادتهم: يا أهل النار أي شيء تطلبون؟ وما الذي تسألون؟ فيذكرون بها سحائب الدنيا، والماء الذي كان ينزل عليهم فيقولون: نسأل يا رب الشراب فتمطرهم أغلالاً تزداد في أعناقهم، وسلاسل تزداد في سلاسلهم، وجمراً يلهب النار عليهم»[2]. وقال رسول الله ﷺ عن شارب الخمر: «فيقوم مغلولة يداه مقيدة رجلاه، يسحب فيها بالسلاسل على وجهه يستغيث من العطش»[3]. وقال ﷺ عن الزناة: «ثم يقول مالك: يا معشر الزبانية، اكووا عيون الزناة بمسامير من نار كما نظرت إلى الحرام وغلّوا أيديهم بأغلال من نار كما امتدت إلى الحرام، وقيدوا أرجلهم بقيود من نار كما مشت إلى الحرام، فتقول الزبانية: نعم نعم، فتغل الزبانية أيديهم بالأغلال وأرجلهم بالقيود وأعينهم تكوى بالمسامير»[4].

وأما المقامع فقد قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ [الحج: ٢١]. أي يُضربون بها ويُدفعون، الواحد مِقْمَعَة، ومِقْمَع أيضاً. وقد قمعته إذا ضربته بها. وقمعته وأقمعته بمعنىً، أي قهرته وأذللته فانقمع. وقيل: المقامع: المطارق، وهي المرازب أيضاً وفي الحديث: «بيد كل ملك من خزنة جهنم مرزبة لها شعبتان، فيضْرب الضربة فيهوى بها سبعين ألفاً». وقيل: المقامع سياط من نار، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب أي تذلّله[5].

ووصف الرسول ﷺ قوة هذه المقامع فقال: «لو ضرب جبل بمقمع

---

(١) رواه مسلم (٧/٦٧).

(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤٥).

(٣) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٤.

(٤) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٧٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٧).

من حديد جهنم لتفتت ثم عاد»، و في رواية قال: «لتفتت فصار رماداً»[١]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله قال: «لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان، ما أقلوه من الأرض»[٢]. وقال السمرقندي (رحمه الله) في وصف مقامع الزبانية: «بيد كل واحد منهم أرزبة من حديد من نار، فيها اثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام، ورؤوسها كرؤوس الأفاعي، وهي أخف في يدي الملك من الريشة»[٣].

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يساق أهل الزنا وشارب الخمر إلى النار يوم القيامة، فإذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد، ويضربونهم في النار بعدد أيام الدنيا»[٤].

المبحث السابع: حيوانات النار

لقد ورد في الأحاديث النبوية أن هنالك في النار حيوانات، من حيّات وعقارب وغير ذلك، وهي إحدى أنواع التعذيب في النار يوم القيامة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مؤذ في النار». وفي تأويله وجهان، أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار. الثاني: أن كل ما يؤذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها في النار معدّة لعقوبة أهل النار[٥].

ويجوز الوجهان معاً أي أن كل ما يؤذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها معدّ لمن آذى الناس في الدنيا، والله أعلم.

وعن نصر بن نجيب قال: «إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٤).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/كتاب الأهوال/٦٠٠) وأحمد في مسنده (٣/١٠٨٤٨).
(٣) بستان الواعظين (٦١).
(٤) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٣.
(٥) التذكرة للقرطبي ص ٤٧٧.

واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف شقّ، وفي كل شق سبعون ألف ثعبان، وفي شقّ كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يوافق كل ذلك»[1].

وعن عبد الله بن الحارث بن جَزء الزبيدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في النار حيّات كأمثال البُخت[2]، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرّها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها[3] أربعين سنة»[4]. وعن كعب الأحبار قال: «حيات جهنم أمثال الأودية، وعقاربها أمثال القلاع، وإن لها أذناباً كأمثال الرماح، يلقى أحدها الكافر فيلسعه، فيتناثر لحمه على قدميه»[5]. وعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] فقال: «عقارب أمثال النخْل الطِّوال تنهشهم في جهنم»[6]. وعن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: «زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال»[7]. وعن شُفَي بن ماتِع قال: «إن في جهنم وادياً يدعى أثاماً، فيه حيات وعقارب فقار إحداهن مقدار سبعين قلة سمّ، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة[8] تلدغ الرجل، ولا يلهيه ما يجد من حر جهنم عن حموة لدغتها فهو لِمن خلق له»[9]. وعن كعب الأحبار أنه قال: «هل تدرون ما غساق؟ قالوا: لا، قال: إنه عين في جهنم، تسيل إليه حُمّة كل ذي حُمة، من حية أو عقرب أو غير

(١) نهاية البداية والنهاية (١٥٩/٢).

(٢) الإبل.

(٣) أي سمّها.

(٤) الترغيب والترهيب (٤٧٦/٤).

(٥) نهاية البداية والنهاية (١٦٣/٢).

(٦) نهاية البداية والنهاية (١٦٣/٢).

(٧) الترغيب والترهيب (٤٧٦/٤).

(٨) الضخمة السمينة.

(٩) الترغيب والترهيب (٤٦٩/٤).

ذلك»[1]. وعن يزيد بن شجرة قال: «إن لجهنم لَجباباً[2]، في كل جب ساحلاً كساحل البحر، فيه هوام[3] وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الذّل[4]، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم[5] وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فَتَكْشِطُها، فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران، ويسلَّط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحكّ جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين»[6]. وعن مجاهد ﷺ قال: «إن لجهنم جباباً، فيها حيّات كأمثال أعناق البخت وعقارب كأمثال البغال الدهم، فيهرب أهل النار إلى تلك الحيات فيأخذن بشفاههن فيكشطن ما بين الشعر إلى الظفر، فما ينجيهم منها إلا الهرب إلى النار»[7]. وقال النبي ﷺ: «إن في النار وادياً يقال له لملم، فيه حيات كل حية نحو رقبة الجمل طولها مسيرة شهر، تلسع تارك الصلاة في ذلك الوادي فيغلي سمّها في جسده سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه وينقع عظمه، ويعذبون تارك الصلاة في ذلك الوادي، وإن في النار وادياً يسمى جب الحزن، فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسوَد، له سبعون شوكة، في كل شوكة ذؤابة من سمّ، تضرب تارك الصلاة ضربة وتفرغ سمها في جسده فيجد حرارة سمّها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه على عظمه، ويسيل من فرجه ويلعنه أهل النار»[8]. وقال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي إلى السماء، رأيت رجالاً ونساءً محبوسين مع العقارب والحيّات. العقارب تنهشهم، فموضع كل قبلة جرت بينهما

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٢).
(٢) جمع جبّ.
(٣) أي حشرات.
(٤) أي الذلولة المطيعة.
(٥) أي بأفواههم.
(٦) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٦).
(٧) تنبيه الغافلين ص ٢٨.
(٨) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٥٦.

تدقهم العقارب بمقاراتها، وفي كل مقارة من مقاراتها راوية سمّ، تفرغ في لحم من تقرضه، يسيل من فروجهم الصديد، يصيح أهل النار من نتنه وهم معلقون بشعورهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم الزانون والزانيات»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من أحد ملك غنماً أو بقراً أو إبلاً فلم يزكها، إلا جاءت يوم القيامة أقوى ما كانت في دار الدنيا، لها قرون من نار فتنطحه بقرونها وتدوسه بأظفارها حتى تشقّ بطنه وتقصف ظهره وهو يستغيث فلا يغاث ثم تصير سباعاً وذئاباً تعاقبه في النار»(٢). وفي حديث لرسول الله ﷺ في عذاب الطارحة - القاتلة ابنها مخافة الرزق - قال: «فتستلمها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيضعون الطوق والسلسلة في عنقها يسحبونها على وجهها إلى النار، فيرميها في جب الأحزان وهو جب عميق في نار تسمى نار الآبار، إذا خمدت جهنم يفتح ذلك الجب فتتقد جهنم من حره، فيه سباع وذئاب وحيات وعقارب تنهش المعذَّبين»(٣).

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الذباب كله في النار إلا ذباب النحل»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول: يا أبتِ أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بأزرتي(٥)، فيأخذ بأزرته ثم ينطلق حتى يأتي الله وهو يعرض بين الخلق(٦)، فيقول: يا عبدي، أدخل

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٧٢، ١٧٣.
(٢) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ٢٠٥، ٢٠٦.
(٣) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ٢١٢.
(٤) مختصر زوائد مسند البزّار (٢/٢٢٤٣).
(٥) أي مد يدك لتشد ردائي لتغيثني من النار.
(٦) أي يظهر لأهل المحشر.

من أي أبواب الجنة شئت، فيقول: يا رب وأبي معي، فإنك وعدتني أن لا تخزيني. قال: فيمسخ الله أباه ضبعاً فيهوي في النار فيأخذ بأنفه الله: يا عبدي أبوك هوى! فيقول لا وعزتك»[1]. وقد نكّر الله تعالى أبا هذا الرجل إذ تحولت صورته من الآدمية إلى الوحشية، لأن هذا الابن أطاع ربه في حياته، ووالده كان عاصياً، فلم تنفعه نبوة ابنه لأنه في رواية أخرى: «يلقى إبراهيم أباه آزر»[2].

المبحث الثامن: سرادق النار

إن الله تبارك وتعالى حينما أخبرنا عن كبر وسعة النار وأنها ستملأ إنساً وجناً، أخبرنا أيضاً أن لها ما يحيط بها ليمنع خروج الكافرين والمنافقين وغيرهم منها، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. أي إنا أعتدنا للكافرين الجاحدين ناراً أحاط بهم سرادقها[3]. قال الراغب: السرادق فارسي معرّب، وليس من كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعده حرفان، انتهى. وقد أصاب في دعوى التعريب، فإن عامة اللغويين على ذلك، وأما قوله: وليس من كلامهم الخ، فيكذبه ورود علابط وحلاحل وكلها بزنة سرادق ومثل ذلك كثير، والغفلة مع الكثرة من هذا الفاضل بعيدة فلينظر ما مراده، وقال أبو حيّان وغيره: معرّب سرادر وهو الدهليز، ويجمع كما قال سيبويه بالألف والتاء وإن كان مذكراً، فيقال: سرادقات، وفسره بكل ما أحاط بموضع، من حائط أو مضرب، وأمر إطلاقه على اللهب أو الدخان أو غيرهما[4]. وقال الجوهري: السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. وكل بيت قطن فهو سرادق. يقال بيت مسردق. وقال ابن الأعرابي: سرادقها: سورها. وعن ابن عباس: حائط من نار. وقال الكلبي: عنق تخرج من النار فتحيط بالكفرة كالحظيرة.

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٢٩، ٤٣٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٣).

(٤) روح المعاني (١٥/٢٦٨/باختصار).

وقال القتبي: السرادق الحجزة التي تكون حول الفسطاط. وقال قتادة: هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي ذكره الله تعالى في سورة المرسلات حيث يقول: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المرسلات: ٣٠]. وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤٣][١]. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَسرادق النار أربعة جُدُر، كِثَف كل جدار مسيرة أربعين سنة»[٢]. وقال القرطبي: «وهذا يدل على أن السرادق ما يعلو الكفار من دخان أو نار، وجدره ما وصف»[٣]. والكِثَف: الثخن والغلظ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. ثم ذكر الله في آية أخرى أن النار مؤصدة على من فيها فقال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ٢٠].

فإخباره تعالى بأن السرادق محيط بأهل النار، وكذلك أن النار مؤصدة على من فيها، يدل على أن إصادها على أهلها هو بالسرادق المحيط بأهلها لئلا يخرجوا منها، يعني أن السرادق هو آصد النار على الكافرين، والله أعلم.

ومعنى مؤصدة: أي مطبقة مغلقة. وقيل مبهمة لا يدرى ما داخلها. وأهل اللغة يقولون: أوصدت الباب وآصدته أي أغلقته. فمن قال أوصدت فالاسم الوصاد ومن قال آصدته فالاسم الإصاد[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

إن الله تعالى أخبر عن النار أنها مؤصدة، ثم أخبر بما هي مؤصدة - أي بالعمد الممددة - واستناداً إلى القول السابق، يجوز أن يكون السرادق الذي ذكر في سورة الكهف، هو عبارة عن عمد ممددة حول الظالمين في النار، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٣، ٣٩٤/بتصرف).
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/١٠٨٤٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧٢).

فقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ أي مؤصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود وهي في قراءته ﴿بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾. وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «ثم إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعمد من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد عليهم بتلك المسامير، وتمد بتلك العمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح، ولا يخرج منه غم، وينساهم الرحمن على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبداً، وينقطع الكلام، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾». وقال قتادة: عمد يعذبون بها[(١)]. والعَمَد بفتح العين والميم، وقرأ الأخوان حمزة و الكسائي، و أبو بكر عن عاصم ﴿عُمُدٍ﴾ بضم العين والميم: جمع عمود، وكذلك ﴿عَمَدٍ﴾ أيضاً. قال الفراء: والعَمَد والعُمُد جمعان صحيحان لعمود[(٢)].

وبما أن النار مؤصدة على أهلها، فإنهم لا يستطيعون أن يخرجوا منها فكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها بالضرب بالمقامع. وقال أبو ظبيان: ذكر لنا أنهم يحاولون الخروج من النار، حيث تجيش بهم وتفور، فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان إليها بالمقامع. وقيل: إذا اشتد غمّهم فيها فرّوا، فمن خلص منهم إلى شفيرها أعادهم الملائكة فيها بالمقامع، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق، أي المحرق[(٣)]. والذوق مماسّة يحصل معها إدراك الطعم، وهو هنا توسع، والمراد به إدراكهم الألم[(٤)]، وذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢﴾ [الحج: ٢٢].

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا فيها كما يطير الشرر، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب، فينادي أصحاب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨٥/٢٠، ١٨٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٦/٢٠).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٢).
(٤) المرجع السابق.

الجنة أصحاب النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]. وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار[١]. قال بعض المفسرين: هو معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]. ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له، قال: ولعلك تقول: كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض، وبينهم ما بينهم من المسافة وغلظ الحجاب؟ فيقال لك: لا تقل هذا، فإن الله تعالى يقوي أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض، وهذا قريب في القدرة[٢].

المبحث التاسع: جسر جهنم

جسر جهنم هو الصراط، وسمي جسر جهنم لأنه يضرب فوقها، وقال علماء اللغة: الصراط: الطريق وقرأ قنبل ورويس ﴿السِّرَاطَ﴾[٣] بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق بمرور الناس عليه فئات بعد فئات أفراداً بعد أفراد، كثيراً ما لا يعودون، يسترط من يسلكه ويسير عليه. وهو هنا شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون كقنطرة إلى الجنة.

ووضعه امتحان واختبار ليتميز المنافق من المؤمن وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلّم سلّم قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون طرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير

(١) التذكرة ص ٤٦٨.
(٢) التذكرة ص ٤٦٨.
(٣) أي كلمة الصراط التي مرّت في القرآن الكريم.

وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار»[1]. الدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزلّ فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه دحضت الشمس أي مالت، وحجة داحضة لا ثبات لها. وأما الخطاطيف فجمع خُطاف بضم الحاء في المفرد والكلاليب بمعناه، وأما الحَسَك فبفتح الحاء والسين، وهو شوك صلب من حديد[2]. وكلاليب جمع كلّوب بالتشديد. قال القاضي أبو بكر بن العربي: «هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث: «حفت النار بالشهوات» قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار لأنها خطاطيفها»[3]. ولابن المبارك عن مرسل عبيد بن عمير أن الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب، إنه ليؤخذ بالكلّوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. والسعدان جمع سعدانة، وهو نبات ذو شوك[4]. قال الزين بن المتير: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها»[5].

وأما من يمر عليه فهم ثلاثة أقسام: فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم. ومعناه أنهم: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم[6]. وقال ابن أبي جمرة: «يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو»[7]. وعن عبد الله بن مسعود قال: «يوضع الصراط على سواء جهنم

---

(١) رواه مسلم (٣/باب رؤية الله عز وجل/٢٥).

(٢) شرح النووي لحديث المرجع السابق.

(٣) فتح الباري (١٤/٢٤٩).

(٤) فتح الباري (١٤/٢٥٠/ باختصار).

(٥) المرجع السابق (باختصار).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٢٥).

(٧) فتح الباري (١٤/٢٥١).

مثل حد السيف الرهف، مدحضة مزلة، عليه كلاليب من نار تخطف بها، فممسك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس، ثم كسعي الرجل ثم كرمل - أي إسراع - الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنساناً رجل قد توجبه النار ولقي فيها شراً حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته»[1].

وعن عبيد بن عمير كان يقول: «أيها الناس إنه جسر مسجور، أعلاه دحض مزلة، والملائكة على جنبات الجسر يقولون: رب سلّم، قال: وإن الصراط مثل حد السيف على جهنم وإن عليه كلاليب وحسكاً، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلاّب الواحد أكثر من ربيعة ومضر»[2]. وعن أبي واعظ الزاهد قال: «بلغني أن الصراط ثلاثة آلاف سنة، ألف سنة يصعد عليه الناس، وألف سنة يستوي الناس، وألف سنة يهبط الناس»[3]. وقال ابن الجوزي في وصف الصراط: «إذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها، يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام، وقد قيل: طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا، أرق من الشعرة وأحدّ من الموسى، وقيل: أحدّ من السيف وأحر من الجمر، وقد قيل: إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم، عليه حسك وكلاليب قد تعلّق بكل كلّوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية، لو أن واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بإنسها وجنّها وجميع ما ذرأ الله فيها، ولأذاب جبالها وجفف بحارها»[4]. وقال الشاعر:

ألا فازجر النَّفْس عن غَيِّها ... عَساك تجوزُ الصراطَ الدّقيقا

---

(١) مجمع الزوائد (١٠/٣٥٩، ٣٦٠).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/٨٨).
(٣) المرجع السابق.
(٤) بستان الواعظين (٧٥).

مـقـامٌ بـه تَـذْهـلُ الـمـرضـعـاتُ   وتـلـقـى الـحـواملُ وَعْـداً صَـدوقـا

ومعنى قوله: «وأحدّ من السيف»: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط، يكون في نفاذ حدّ السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مردّ كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربة في شيء لم يكن له بعد ذلك مردّ[1].

وأما أن يقال: إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدقّ من الشعر، فذلك مدفوع بما وصف أن الملائكة يقومون بجنبيه و أن فيه كلاليب وحسكاً، أي أن من يمر عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه. وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله[2]. وفيه عن عائشة أنها سألت النبي ﷺ عن قول الله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فقالت: «أين الناس يومئذ؟ فقال: على جسر جهنم»[3].

فقال القرطبي: «ما ذكره القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء، قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلا المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك، للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقلها الأئمة العدول ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «ليس كل الناس يجدون صراطاً أرقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، ما يجد الصراط على هذه الحالة إلا الهالكون، إنما الناس يجدون صراطاً على قدر أعمالهم، منهم من يجده على عرض جزيرة، ومنهم من يجده على عرض ذراع، ومنهم من يجده عرض أربع

---

(١) التذكرة ص ٣٨٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٣٥).
(٤) التذكرة ص ٣٨٦.

أصابع على مقدار صبرهم على الشدائد وصبرهم على الطاعات. فمنهم من يجده أرقّ من الشعرة وأحدّ من السيف وذلك الذي لا صبر له، ومن لا صبر له لا دين له»[١].

وللصراط سبع قناطر يسأل المارّ عليها عن أعماله، فقد روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهي شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً، والإخلاص قول وعمل جاز، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء بها تاماً جاز، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة، فان جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامتين جاز، ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامتين جاز، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظُلامات الناس[٢].

وقال بعض الوعّاظ فيما حكاه القرطبي في التذكرة:

توهّم نفسك يا أخي إذا سرت على الصراط، ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مدلهمّة، وقد تلظى سعيرها وعلا لهيبها، وأنت تمشي أحياناً وتزحف أحياناً أخرى ثم أنشد:

أبتْ نفسي تَثوب فما احتيَالي ... إذا بَرَز العبادُ لِذي الجَلاَلِ
وقاموا مِن قُبورِهم سُكارى ... بأوْزارِهم كأمثالِ الجبالِ
وقد نُصِبَ الصراطُ لكي يجوزوا ... فمنهم من يُكَبُّ على الشمالِ
ومنهم من يسير لدارِ عَدْنٍ ... تلقاهُ العرايِسُ بالغَوالي
ويقول له المُهَيْمنُ يا وَليي ... غفرتُ لك الذنوبَ فلا تُبالِ

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٩٩.

(٢) التذكرة ص ٣٨١، ٣٨٢.

المبحث العاشر: الحاجز بين الجنّة والنار

لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، نبّه أن بين الجنة والنار حجاباً، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] هو السور وهو الأعراف. وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، سور له باب، قال ابن جرير: والأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. عن ابن عباس يقول: الأعراف هو الشيء المشرف. وقال الثوري بن جابر عن ابن عباس قال: الأعراف سور كعرف الديك، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأعراف جمع تل بين الجنة والنار، حبس عليه من أهل الذنوب بين الجنة والنار، وفي رواية عنه: هو سور بين الجنة والنار، وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير. وقال السدي: إنما سمي الأعراف أعرافاً، لأن أصحابه يعرفون الناس.

واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف، وكلها قريبة إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوَت حسناتهم وسيئاتهم، نصّ عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف (رحمهم الله)، وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه بالسنَد المتصل عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوَت حسناته وسيئاته فقال: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون» وهذا حديث غريب من هذا الوجه[1]. واختلف العلماء في تعيينهم على اثني عشر قولاً:

الأول: أنهم مساكين أهل الجنة.

الثاني: قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٦/باختصار).

الثالث: هم الشهداء، ذكره المهدويّ.

الرابع: هم فضلاء المؤمنين والشهداء، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره أبو نصر عبد الحليم بن عبد الكريم القشيري.

الخامس: هم المستشهدون في سبيل الله، الذين خرجوا عصاة لآبائهم، قاله شرحبيل بن سعد، وذكر الطبري في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ وأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم.

السادس: هم العباس وحمزة وعليّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه ذكره الثعلبي عن ابن عباس.

السابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة، ذكره الزهراوي واختاره النحاس.

الثامن: هم قوم أنبياء، قاله الزجّاج.

التاسع: هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفَّر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا فوقفوا، وليست لهم كبائر، فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غمّ فيقع في مقابلة صغائرهم، حكاه ابن عطية القاضي أبو محمد في تفسيره.

العاشر: ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف الذين ذكر الله في القرآن، أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة، وذكره ابن المبارك قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان جسيم أمرهم الله فأقيموا ذلك المقام، إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه وقالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم. قال ابن عباس: أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود: وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً الجنة. قال ابن عطية: وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف لأن مذهبه أنهم مذنبون.

الحادي عشر: أنهم أولاد الزنا، ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس.

الثاني عشر: أنهم ملائكة موكّلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار. قال أبو مجلز لاحق بن حميد فقيل له: لا يقال للملائكة رجال، فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦][١].

وأصحاب الأعراف إذا وقفوا على الصراط عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]. تعوذوا بالله من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد مؤمن نوراً وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط، سلب الله نور كل منافق ومنافقة، وأما أصحاب الأعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦]، فكان الطمع دخولاً[٢].

❁ ❁ ❁

(١) التذكرة ص ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٧، ٢٠٨/باختصار).

الفصل الثالث
أين مكان النار؟

المبحث الأول: جهالة مكانها

لقد اختلف العلماء في حقيقة وجود الجنة و النار الآن، فذهب المعتزلة والقدرية إلى إنكار أن تكون الجنة و النار مخلوقتين الآن، ولكنّ الله تعالى ينشئهما يوم المعاد للجزاء. وأما جمهور العلماء من أهل السنّة وفي مقدمتهم الصحابة والتابعون وعلماء الحديث فيذهبون إلى أنهما مخلوقتان وقائمتان الآن وقبل أن تقوم الساعة أو يكون الحشر والحساب والجزاء.

فأما الجنة فقد أشار إلى وجودها القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

وأما النار أيضاً موجودة ولكن لم يرد في القرآن الكريم ولا عن النبي ﷺ أنها موجودة في مكان من الأمكنة.

وقال طارق بن شهاب: قال قوم من أهل الحيرة لعمر ﷺ: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم الليل إذا ولّى الليل وجاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: لقد نزعت بما في التوراة مثله[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/١٧، ٢٥٧).

المبحث الثاني: متى كان وجودها؟

لقد نصّت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة الكرام، على أن جهنم موجودة منذ أمد بعيد.

فقد قال الله تعالى لإبليس بعد أن رفض السجود لآدم واحتجّ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر: ٤٢، ٤٣].

وفي هذه الآية دليل على أن جهنم خلقت قبل آدم وإبليس، والله أعلم.

وعن أنس ﷺ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فقال: «أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها»(١).

إن نار جهنم أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. فالثلاثة آلاف التي أوقدت عليها جهنم، اليوم منها كألف سنة مما يعدّ بنو آدم، فهذا يدل على أن جهنم خلقت منذ أمد بعيد جداً، والله أعلم.

المبحث الثالث: مجيئها يوم القيامة

لقد مرّ في المبحث السابق أن النار مجهول مكانها، وأنه لا يعلم مكانها الآن إلا الذي خلقها وهو الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء. ولكنّ الله تعالى يأمر يوم القيامة أن يؤتى بجهنم إلى أرض المحشر، وتخرج من مكانها التي هي فيه الآن، قال القرطبي: «يجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه فتدار بأرض المحشر»(٢).

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٦٥).

(٢) التذكرة ص ٣٥١.

وقال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها»[١].

قال ابن العربي في شرح الحديث[٢]: «قوله ﷺ: «يجرونها»، يحتمل أن تستعصي عليهم فيجرونها قسراً، ويحتمل أن تكون ذات ثقل عظيم في قدرها فيجرها من يستقل بحمل ذلك الثقل، والأول أظهر بوجهين، أحدهما: أن ذلك يشهد له ما يقال في الشمس: أنه يتوكل بها سبعون ألف ملك يضربونها لتطلع، وهي تتقاعس لأجل من يعبدها بالسجود من دون الله إذا طلعت. والثاني: أن الحديث بعد الأول كونها تأتي ذات عينين وأذنين ولسان، وقد جاء في الحديث[٣]: من كذب علي متعمداً، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل له: يا رسول الله أوَلجهنم عينان فقال: أما سمعتم الله يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]».

وذكر الإمام أبو حامد في كتاب (كشف علوم الآخرة) أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم، وتقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، بيد كل واحد حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها بحلقة واحدة، على كل حلقة سبعون ألف زبني، لو أمر زبني منهم أن يدكّ الجبال لدكّها، وأن يهدّ الأرض لهدّها، وأنها إذا انفلتت من أيديهم، لم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها، فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المسلمون، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش[٤]. وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: لما نزلت: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] تغير لون رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال: «أقرأني جبريل: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

---

(١) صحيح الترمذي (١٠/أبواب صفة جهنم/٤٤).
(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٠/٤٤).
(٣) الذي رواه الترمذي (المرجع السابق).
(٤) التذكرة ص ٤٥١.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٣]، قال علي ﷺ: قلت يا رسول الله، كيف يجاء بها؟ قال: يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، يقود بكل زمام سبعون ألف ملك، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم تعرض لي جهنم فتقول: ما لي ولك يا محمد، إن الله قد حرّم لحمك علي». فلا يبق أحد إلا قال: نفسي نفسي! إلا محمد ﷺ فإنه يقول: رب أمتي! رب أمتي![1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «يؤتى بجهنم يوم القيامة، تقاد بسبعين ألف زمام، آخذاً بكل زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل عليهم، حتى توقف عن يمين العرش، ويلقي الله عليها الذل يومئذ، فيوحي الله إليها: ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب أخاف أن تكون لك فيّ نقمة، فيوحي الله إليها فتزفر زفرة لا تبقى دمعة في عين إلا جرت، قال: ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق، إلا نبيكم ﷺ نبي الرحمة، يقول: يا رب أمتي، أمتي»[2].

وذكر ابن وهب قال: حدثني العلاف بن خالد في قول الله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضاً، يقودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]، فإذا رأتهم زفرت زفرة فلا يبقى نبي ولا صدّيق إلا بَرَك لركبتيه، يقول: يا رب نفسي نفسي، ويقول رسول الله ﷺ: «أمتي، أمتي»[3].

وكان بعض الوعاظ يقول: أيها المجترئ على النار، ألك طاقة بسطوة الجبار، ومالك خازن النار، ومالك إذا غضب على النار، وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضاً.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٥٥، ٥٦).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٦).
(٣) التذكرة ص ٤٦٥.

المبحث الرابع: رد الرسول ﷺ جهنم عن الخلائق

إذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى، جاءت بالهول الأكبر والفزع الأعظم، فيخرج من نفسها وهج شديد، ويسمع في جوفها دوي سلاسل الحديد. فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقاً ورأوا لها حريقاً، فإذا نظرت في أهل المعاصي، ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت وتمحمحت إليهم و أرادت أن تأتي على جميع الخلائق، وتريد أن تنفلت من أيدي الخزان، فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذاً ولا مكاناً يستغيثون إليه، ومناد ينادي: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي بحجة. ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله على كل من في الموقف، فيعرض لها (صلوات الله وسلامه عليه) محمد الرسول وكل نبي يومئذ بنفسه مشغول[١]. فيأخذ محمد ﷺ بزمامها، ويقبض على خطامها، فيردها على أعقابها وهو يقول لها: كفي عن أمتي، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه: أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم، خلِّ سبيلي من يديك، فما جعل الله لي ولا لغيري من سلطان عليك، فيناديها الملك الجليل الجبار، هذا محمد حبيبي سيد الأبرار، ووزير الأخيار، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة، فعند ذلك تضع جهنم رأسها خاضعة كالحة كليلة تحت سكون وخمود بإذن الملك المعبود، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، والكرم والجود، وإقامة الحقائق الحدود. ولو تركها خاتم النبيين و سيد المرسلين، لأهلكت الخلائق أجمعين، غضباً لغضب رب العالمين[٢].

وقيل إن جهنم (أعاذنا الله منها)، إذا نظرت إلى الكفار والمنافقين والفجار، وأصحاب الخطايا والأوزار، زفرت زفرة فترمي شرراً على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر، فتقع على رؤوس

---

(١) بستان الواعظين (٦٢).

(٢) بستان الواعظين (٦٣).

الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين. فلو كانت الدنيا باقية لانهارت جبالها ويبست أزهارها وجفت عيونها وأنهارها، من شدة حر جهنم، ولو كان ثَمّ موت لمات الخلق كلهم[١].

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى، فلا تبقى عين إلا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها، وتبلغ القلوب الحناجر، ولا يسأل أحد إلا نفسه، البر والفاجر[٢].

ثم تزفر الثالثة، وهي أعظم من الأولى والثانية، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صديق إلا جثا على ركبتيه، حتى إبراهيم وجميع المرسلين، إلا من خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبيين، فإنه لا يسأل عن هول النار، قد خلصه الله من أهوالها[٣].

ثم تزفر الرابعة، وهي أعظم من الأولى والثانية والثالثة، فتلقي الزبانية على وجوههم أجمعين، وتفرّ الخلائق كلهم هاربين، ويتعلق جبريل وميكائيل (عليهما السلام) بساق العرش وكل ملك ينادي: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم غيرها. ويقول أيضاً كل واحد منهم: بحرمة محمد ﷺ نجني من عذابك، لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه، فإذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتي عليهم، وقد غلا بعضها في بعض، ويقلب بعضها على بعض، ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حيّة ولا عقرب إلا ألقت الكل على متنها[٤].

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقي يده في زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء، فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العليّ المجيد وهو يقول: يا سلام، سلم أمتي من العذاب الشديد[٥].

---

(١) بستان الواعظين (٦٤).
(٢) بستان الواعظين (٦٥).
(٣) بستان الواعظين (٦٦).
(٤) بستان الواعظين (٦٧).
(٥) بستان الواعظين (٦٨).

اللهم أجرنا منها يومذاك، وأمنّا يوم الفزع الأكبر.

المبحث الخامس: اختصاص النبي ﷺ بردّها

قال العلماء: إنما خص النبي محمد ﷺ بردّها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء (صلوات الله عليهم)، لأنه رآها في مسراه وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح، قال: وفي ذلك فوائد ثمان:

الأولى: أن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبونه في قوله، ويؤذونه اشد الأذى، أراه الله تعالى النار التي أعدها للمستخفين به وبأمره تطييباً لقلبه وتسكيناً لفؤاده.

الثانية: الإشارة في ذلك إلى أن من طيب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام، فالأولى أن يطيب قلبه في شأن أوليائه وأحبابه بالتحية والشفاعة والإكرام.

الثالثة: ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منّة الله تعالى حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

الرابعة: ويحتمل أن عرضها عليه ليكون في القيامة إذا قال سائر الأنبياء: نفسي نفسي، يقول نبينا محمد ﷺ: أمتي أمتي، وذلك حين تسجر جهنم، ولذلك أمر الله عز وجل محمداً ﷺ فقال جل من قائل: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحريم: ٨].

قال الحافظ أبو الخطاب: والحكمة في ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء.

الخامسة: أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها، فإذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطيئة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أممهم، وأما نبينا ﷺ، فقد رأى جميع ذلك فلا يفزع منه مثل ما فزعوا ليقدر على الخطبة، وهو المقام المحمود الذي وعده به ربه تبارك وتعالى في القرآن المجيد وثبت في صحيح السنّة.

السادسة: فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقها، وهو يجري على ظاهر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، والإعداد دليل الخلق والإيجاد.

السابعة: ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خِسة الدنيا في جنب ما أراه، فيكون في الدنيا أزهد وعلى شدائدها أصبر، حتى يؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء، وبؤساً لنعمة تردي بصاحبها إلى البلاء.

الثامنة: ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها ولما كان لإدريس عليه السلام كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله تعالى أن يكون ذلك لصفيّه ونجيّه وأمينه على وحيه محمد ﷺ وكرم وعظم ووقر، قال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية رضي الله عنه(١).

المبحث السادس: ما جاء في سجودها

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم (أعاذنا الله منها وزحزحنا برحمته عنها)، تستأذن يوم القيامة في السجود فيؤذن لها، فتسجد ما شاء الله من ذلك، ثم يقال لها: ارفعي، فترفع رأسها وهي تقول: الحمد لله الذي خلقني لينتقم بي ممن عصاه، ولم يجعل شيئاً من خلقه ينتقم به مني. إلهي قد اشتد بلائي وأخمدت ناري، وغلا حميمي وزقومي، وكثر نتني وغسليني وأكل بعضي بعضاً. إلهي عجّل عليّ بأهلي، فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلهاً غيرك، لا إله إلا أنت. فتنادي نداء يسمعه أهل الموقف جميعاً، ثم تغتاظ على أهل المعاصي، فترمي بشرر كعدّ النجوم في السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤوس الخلائق، فيقع على رؤوس العصاة، فمن كان له عمل صالح صار حجاباً بينه وبين شرر جهنم، ومن لم يكن له عمل صالح صار

---

(١) التذكرة ص ٤٥٢، ٤٥٣.

رأسه عرضاً لشرر جهنم، أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته يا رب العالمين، آمين[١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «الأرض كلها نار يوم القيامة»[٢]. أي أن البحار توقد ناراً فتصير الأرض كلها نار يوم القيامة.

وأما أن تكون النار موجودة على الأرض، فهذا غير وارد لأن نار الدنيا - أي الموجودة في الدنيا - هي غير نار الآخرة التي أعدت للكافرين.

المبحث السابع: هل الشمس والقمر هما النار يوم القيامة؟وما مصيرهما؟

إن بعض الناس يعتقدون أن الشمس والقمر سيكونان النار التي يعذب الله بها الكافرين والعصاة، ويظنون أنهما يجمعان مع بعضهما فيكونان النار الموقدة لأن الشمس مصدر هائل من النيران والحرارة. فهذا كله غير وارد لأن نار الدنيا - أي الموجودة في الدنيا - هي غير نار الآخرة التي أعدت للكافرين.

وأما أن يجمعا ثم يقذفا في النار فتكون نار الله الكبرى، فهذا جائز قال الله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩]. روي عن كعب الأحبار أنه قال: «يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار»[٣].

قال القرطبي: «كذا الرواية: ثوران، بالثاء المثلثة، وإنما يجمعان في جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم»[٤].

---

(١) بستان الواعظين (٧٣).
(٢) الترغيب والترهيب (٤/٣٩٠).
(٣) التذكرة ص ٤٥٨.
(٤) المرجع السابق.

وقال ابن قسي صاحب خلع النعلين: «اعلم أن الشمس والقمر ثوران مكوران في نار جهنم على شبه هذا التكوير، فنهار سعير وليل زمهرير، والدار دار قائمة لا فرق بينها وبين هذين في حركة التسيار والتدوار، ومدار فلكي الليل والنهار إلى أن تلك خالية من رحمة الله، ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله، وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهيب ظاهر النار، وهما من أشد الغضب لله تعالى بما عايناه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين، إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا تخفى عنهما خائنة عين، فإنه لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوءيهما، ولو كانا خلف حجاب من الغيب الليلي أو وراء ستر من الغيم اليومي، فإن الضوء الباقي على البسيطة في ظل الأرض ضوؤهما والنور نورهما، ومع ما هما عليه من الغضب لله، فإنه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما، وقبض ضياء اللين والرأفة منهما، وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا في قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار»[1].

قال ابن عباس: الله أكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. يعني دؤوبهما في طاعته، فكيف يعذب عبدين أثنى الله عليهما أنهما دائبان في خدمته وطاعته، ثم حدث عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لما أبرم خلقه إحكاماً ولم يبق غير آدم، خلق شمساً وقمراً من نور عرشه» الحديث، وفي آخره: «فإذا قامت الساعة وقضى الله في أهل الدارين، وميز أهل الجنة والنار ولم يدخلوها بعد أن يدعو الله بالشمس والقمر، يجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في الزلازل، لأن فرائصهما ترعد من أهوال ذلك اليوم من مخافة الرحمن تبارك وتعالى، فإذا كانا حيال العرش خرّاً ساجدين لله تعالى، فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودؤوبنا في طاعتك وسرعتنا للمضي في أمرك في أيام الدنيا، فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فيقول الله تعالى: صدقتما إني قد قضيت على نفسي أني أُبدي وأعيد، وإني معيدكما إلى ما

(١) التذكرة ص ٤٥٨.

بدأتكما منه، فارجعا إلى ما خلقتكما منه، فيقولان: ربنا ممّ خلقتنا؟ فيقول: خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه، فيلتمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً، فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ⑬﴾ [البروج: ١٣][1]. وقال علي (كرم الله وجهه): «يجمعان ويجعلان من نور الحجب»[2].

ويجوز أن يجعل الله الشمس والقمر في النار، يعذبان من أراد، ولا تكون لهما النار عذاباً، فإذا أنفذ الله تعالى حكمه فيمن أراد أن يعذبه بنارهما، أخرجهما وقال لهما: ارجعا إلى ما خلقتكما منه وهو نور عرشي، فيرجع كل واحد منهما إلى أصله و يختلطان بنور العرش. ويجوز أن يكون قصد النبي ﷺ في الحديث السابق أنهما «يجاء بهما» أي يخرج بهما من النار، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) التذكرة ص ٤٥٩ (باختصار).

(٢) روح المعاني (١٣٩/٢٩).

الفصل الرابع

من يدخل النار؟ وما يلاقيه من العذاب؟

المبحث الأول: الإنس والجن

المطلب الأول: من الإنس والجن.

لا بد لكل كافر أو مشرك أو عاصٍ لله أن يدخل النار إن كان من الإنس أو الجن، فقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن النار للثقلين وليس للإنس فقط. فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وذكر الناس في آية أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وذكر الجن في آية أخرى فقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥]. والقاسطون هم الكفرة من الجن.

دل الله من خلال هاتين الآيتين أن الإنس والجن هما الوسيلة التي توقد بها النار يوم القيامة، هم وأصنامهم التي كانوا يصنعونها من الحجارة ويعبدونها من دون الله، ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الثاني: كل الإنس والجن يرى النار

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)﴾ [مريم: ٧١]. روي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: «الورود، المرور على الصراط». رواه السّدي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ(١). وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني: البر والفاجر(٢). قال ابن المبارك أخبرنا سعيد الجيزي عن أبي الليل عن غنيم عن أبي العوام عن كعب أنه تلا هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: هل تدرون ما ورودها؟ قالوا: الله أعلم، قال: فإنّ ورودها أن يجاء بجهنم وتمسك الناس كأنها متن إهالة حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلق برّهم وفاجرهم، نادى مناد: أن خذي أصحابك وذري أصحابي، فتخسف بكل وليّ لها، لهي أعلم بهم من الوالد بولده، وينجو المؤمنون(٣).

وقيل: المراد بالورود الإشراف على جهنم والاطّلاع عليها والقرب منها، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، و﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أي يؤمر بهم إلى النار قال الله تعالى: و﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أي أشرف عليه لا أنه دخله(٤). وفي مسند الدارمي أبي محمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحلة، ثم كشدّ الرجل، ثم كمشيه»(٥).

وبما أن الصراط فوق جهنم، فإن من يمر عليه لا بد وأن يرى جهنم ولهب نارها، فتقول له إن كان مؤمناً: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي.

---

(١) التذكرة ص ٣٨٧.

(٢) فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير.

(٣) أسباب السلامة من أهوال يوم القيامة ص ٢٠٢.

(٤) المرجع السابق.

(٥) جامع الأصول (٢/٣٢٠).

وأكد الله تعالى في القرآن الكريم رؤية الثقلان للنار، فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٦، ٧]. أي لترونها في قبوركم ثم لترونها بأعينكم يوم القيامة. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلّا أري مقعده في الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»[١].

قوله: «لو أساء ليزداد شكراً»: أي لو عمل عملاً سيئاً وهو الكفر فصار من أهل النار، وقوله: «ليزداد شكراً»: أي فرحاً، فعبّر عنه بلازمه، لأن الراضي بالشيء يشكر من فعل له ذلك، وقوله: «لو أحسن»: أي لو عمل عملاً حسناً وهو الإسلام. وقوله: «ليكون عليه حسرة»: أي للزيادة في تعذيبه[٢].

المطلب الثالث: أكثر أهل النار من النساء

إن أكثر من يدخل النار من الإنس هن النساء، فعن عمران عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[٣]. ومن طريق آخر عن أسامة عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدّ محبوسون - أي للحساب - غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[٤].

وعن النبي ﷺ قال: «أقلّ ساكني الجنة النساء»[٥]. قال القرطبي: «إنما كان النساء أقل ساكني الجنةِ لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن»[٦].

---

(١) فتح الباري (١٤/٢٣٧،٢٣٨).

(٢) المرجع السابق (باختصار).

(٣) رواه البخاري (٢٣/٦١٥٩).

(٤) رواه البخاري (٢٣/٦١٦٠).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٦٠٢).

(٦) فتح الباري (١٤/٢٠٩).

وقد ذكر لنا النبي ﷺ في حديث آخر عن أسباب كثرة النساء في النار وعن صفات هؤلاء النسوة، فقال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

فمعنى «كاسيات» أي أنهن كاسيات بالثياب «عاريات» من الدين لانكشافهن وإبداء محاسنهن، وقيل «كاسيات» ثياباً رقاقاً يظهر ما تحتها وما خلفها، فهن كاسيات في الظاهر، عاريات في الحقيقة. وقيل «كاسيات» في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه. وقيل «كاسيات» من نعمة الله، «عاريات» من شكره. و«مائلات» معناه زائغات عن طاعة الله، وطاعة الأزواج، وما يلزمهن حفظه من صيانة الفروج والتستر من الأجانب. و«مميلات» معناه يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل «مائلات» متبخترات في مشيهن، «مميلات» قيل أيضاً يملن رؤوسهن وأكتافهن للخيلاء والتبختر، و «مميلات» قيل أيضاً مميلات لقلوب الرجال إليهن بما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن، وقيل يمتشطن المِشطة الميلاء وهي مِشطة البغايا، و «المميلات» اللائي يمشطن غيرهن تلك المِشطة الميلاء. «رؤوسهن كأسنمة البخت»: أي يعظمن رؤوسهن بالخُمُر والمقانع، ويجعلن رؤوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة، لا عقص الشعر أو الذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله إني امرأة أشدّ ضفر رأسي... الحديث(٢).

وقد أمر الله تعالى نساء النبي بطاعة زوجهن رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. وجاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء. وقد اختلف في معناه، والصحيح أنه عامّ في ما يأمر به

---

(١) رواه مسلم (١٧/١٩٠).

(٢) التذكرة ص ٣٦٨ (بتصرف).

النبي وينهى عنه، فيدخل فيه النَّوح وتخريق الثياب وجزّ الشعر والخلوة بغير محرم إلى غير ذلك، وهذه كلها كبائر ومن أفعال الجاهلية[1].

وعن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الفسّاق أهل النار. قالوا: يا رسول الله ومن الفسّاق؟ قال: النساء. قال رجل: يا رسول الله أو ليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا؟ قال: بلى، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن»[2].

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، واللهِ ما يتكلم لسانها ولكن يدها ورجلاها، يشهدان عليها بما كانت تعيث لزوجها، وتشهد يداه ورجلاه بما كان يولّيها»[3].

وجاء عن رسول الله ﷺ قال: «أربع من النساء في الجنة وأربع في النار. فأما الأربع اللواتي في الجنة فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها وَلُودٌ صابرة، قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء، إن غاب عنها حفظت نفسها ومالها صابرة، وإن حضر أمسكت لسانها عنه. والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار، فجلست على أولادها وربّتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا. وأما الأربع اللواتي في النار من النساء: فامرأة بذيئة اللسان على زوجها، أي طويلة اللسان فاحشة الكلام، وإن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها، وإن حضر آذته بلسانها. والثانية: امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق. والثالثة: امرأة لا تستر نفسها من الرجال و تخرج من بيتها متبرجة. والرابعة: امرأة ليس لها همّ إلا الأكل والشرب والنوم، وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا طاعة زوجها، المرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلاّ أن تتوب إلى الله»[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٧٤/باختصار).

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٤).

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/٥٣).

(٤) الكبائر ص ١٩٣.

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة (رضي الله عنها) ووجدناه يبكي بكاءً شديداً فقلتُ له: فداكَ أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: «يا عليّ، ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبون أنواع العذاب، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها، ورأيت امرأة قد شدّت رجلاها إلى ثديها ويداها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة بثديها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلاب، والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها، والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار». فقامت فاطمة (رضي الله عنها) وقالت: حبيبي وقرة عيني، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال ﷺ: «يا بنيّة، أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي تُشدّ رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها وقد سُلط عليها الحيّات والعقارب، فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة. وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمّامة كذّابة. وأما التي على صورة الكلب، والنار تدخل من فمها وتخرج من دبرها فإنها كانت منّانة حسّادة»[1]. وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله: «توقف النائحة يوم القيامة على طريق بين الجنة والنار وثيابها من قطران، وعلى وجهها غشاء من نار، وتجيء الملائكة بالميت وقد ردّ الله روحه إلى جسده، فيمد بين يديها وتقول لها الزبانية: نوحي كما نحت عليه في الدنيا، فتقول: إني أستحي اليوم، فتضربها الملائكة و يقولون لها: يا ملعونة، لِمَ لَمْ تستحِ من الله في دار الدنيا؟ أما علمتِ أن الله سبحانه وتعالى يسمعك؟»[2].

(١) الكبائر ص ١٩٤.

(٢) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٩٠.

المطلب الرابع: القاسطون

قال محمد بن رشد أبو الوليد القاضي في كتاب الجامعة للبيان والتحصيل: قال أصبغ وسمعت ابن القاسم يقول: للجن الثواب والعقاب وتلا قول الله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٤، ١٥]. قال ابن رشد: استدلال ابن القاسم على ما ذكره من أن للجن الثواب والعقاب بما تلاه من قول الله تعالى استدلال صحيح بيّن لا إشكال فيه، بل هو نصّ على ذلك، والقاسطون في هذه الآية الحائدون عن الهدى المشركون، بدليل قوله تعالى وأنّا منّا المسلمون، ففي الجن مسلمون ويهود ونصارى وعبدة أوثان، قال بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الجن: ١١] قال: يريد المؤمنين، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١] قال: يريد غير المؤمنين. وقرأ المدنيان والبصريان وابن كثير وأبو بكر عن عاصم ﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بالهمز تحت الألف. وقوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] أي مختلفين في الكفر يهود ونصارى ومجوس وعبدة أوثان(١).

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجن مثلكم قَدْرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنّية. وقال قوم: أي وإنّا بعد استماع القرآن مختلفون: منا المؤمنون ومنا الكافرون(٢). وقال أبو الشيخ: حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس حدثنا حميد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن مغيث بن سمي قال: ما خلق الله تعالى من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشيّة إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب، والله أعلم(٣).

وعن ابن عباس قال: الخلق أربعة، فخلق في الجنة كلهم، وخلق في

---

(١) آكام المرجان (١٤٩/ بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٥).
(٣) آكام المرجان (١٤٩).

النار كلهم وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار فالإنس والجن، لهم الثواب وعليهم العقاب[1].

من هذا نستنتج أن الجن مكلّفون كالإنس، لهم الثواب وعليهم العقاب، وقال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١]. أي للحساب والمجازاة، والثقلان هما الإنس والجان.

وقد اتفق العلماء أن كافر الجن معذّب في الآخرة كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز، كقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥]. جاء في تفسير القرطبي: القاسط: الجائر، لأنه عدل عن الحق، المقسط: العادل، لأنه عادل إلى الحق، يقال: قَسَط أي جارَ، وأقْسَط إذا عدل[2]. وأنهم جائرون في قول القرطبي، فَجُورهم عن طريق الحق والإيمان، ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي وقوداً وقوله ﴿فَكَانُوا۟﴾ أي في علم الله.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل في الفنون: سأل سائل عن الجن فقال: الله تعالى أخبر عنهم أنهم من نار بقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧]، وأخبر أن الشهب تضرّهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار؟[3].

وأزيد: «وأخبر أيضاً أنهم حطب جهنم، وأنهم يعذَّبون بالنار يوم القيامة، فكيف تعذَّب النار بالنار؟».

---

(١) آكام المرجان (١٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٩).

(٣) آكام المرجان (٢٣).

تدلّ هذه الآيات على أن المادة الإبليسية التي خلق منها إبليس هي المارج من نار، وهو اللهب الخالص الذي لا دخان فيه، وخصّه الله تعالى في هذه الآيات لأنه أبو الجن، ولم يخصّ الجن عامة لأنه قال: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ ولم يقل: والجانّ خلقناهم. ولأن إبليس قال عن نفسه: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ أي خص نفسه. فالجن إذاً أصلهم من نار وليسوا في ذاتهم ناراً، لكن خصائص النار لا تزال فيهم ومكونات النار لا تزال بهم، تماماً مثل الإنسان الذي خلقه الله تعالى من طين، الآن نحن لسنا طيناً، ولكن مكونات الطين لا تزال بأجسامنا، فجسم الإنسان يحتوي على الماء وعلى عناصر التربة مثل الحديد والفوسفات... إلخ، وأيضاً للإنسان نفس خصائص الطين، فنحن نحتاج للأوكسجين والماء والغذاء، تماماً مثل الطين. وهكذا الجن أصلهم من نار، ومكونات النار وخصائصها لا تزال بهم، أي أنهم طاقة ولكنها ليست ناراً، ولهم ألوان هي نفس ألوان النار، فمنهم الأحمر والأخضر والأزرق... وإنما النار التي خلقوا منها تحولت إلى طاقة أخرى قابلة للتشكل والتصوّر، والله أعلم.

والدليل قول النبي ﷺ: «إن عدوّ الله تعالى إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي»[1]. وقوله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي عفريتاً من الجن يطلبني بشعلة من نار كلما التفتُّ رأيته». وبيان الدلالة منه أنهم لو كانوا باقين على عنصرهم الناري أنهم نار محرقة لما احتاجوا إلى أن يأتي الشيطان أو العفريت منهم بشعلة من نار، ولكانت يد الشيطان أو العفريت أو شيء من أعضائه إذا مسّ ابن آدم أحرقه كما تحرق الآدميَّ النارُ الحقيقية بمجرد المسّ، فدلّ على أن تلك النار انغمرت في سائر العناصر حتى صار البرد، ربما كان هو الغالب في بعض الأحيان إما للأعضاء نفسها أو لما تحلل من البدن كاللُّعاب كما قال النبي ﷺ: «حتى وجدت برد لسانه على يدي»، وفي رواية: «حتى وجدت برد لعابه». ولا شك أن الله تعالى جعل الأقوات منمية للأجسام، ويكون النمو استأصل عن الغذاء على حسبه في الحرارة

---

(١) سنن النسائي (١٣/٣).

والبرودة على اختلافهما في الرطوبة واليبوسة، ولا شك أنهم يأكلون ويشربون مما نأكل ونشرب، ويحصل لأجسامهم بذلك نمو وبقاء على حسب المأكول في مأكولهم الحار والبارد الرطبين واليابسين، فقد كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل فلم يسمِّ حتى لم يبقَ من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها لفيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله عز وجل استقاء ما في بطنه»[1]. وهذا مع التوالد قد نقلهم عن العنصر الناري وصار فيهم الطبائع الأربع، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]. وفي هذه الآية إشارة إلى أن الجن يتوالدون، فهم ذريّة إبليس[2].

وقال القاضي أبو بكر: «ولسنا ننكر مع ذلك أن الأصل الذي خلقوا منه النار أن يكثّفهم الله تعالى ويغلظ أجسامهم ويخلق لهم أعراضاً تزيد على ما في النار فيخرجون عن كونهم ناراً، ويخلق لهم صوراً وأشكالاً مختلفة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب»[3].

المبحث الثاني: المبشرون بالنار «صفاتهم وأعمالهم»

المطلب الأول: أصحاب الكبائر

المبشرون بالنار كثر، وهم الذين يعملون المحرمات، فمنهم من يعفى عنه، ومنهم من يدخل النار قليلاً ثم يخرج، ومنهم من يدخل النار أحقاباً ثم يخرج، ومنهم من يخلد فيها، ولا مجال لذكرهم كلهم، لكن الذين سنتحدث عنهم في هذا المبحث هم الأبرز في ارتكاب المحرمات الكبائر، وعن عذابهم في النار، وقد جمعوا في أبيات شعر، قال الشاعر:

---

(١) رواه أبو داود (٤/كتاب الأطعمة/٣٧٦٨).

(٢) آكام المرجان (٢٥، ٢٦/بتصرف).

(٣) آكام المرجان (٢٧).

الشركُ بالله أكبرُ الذنوب ... فآمن به ولا تكن من المشركينَ
فهو ذنبٌ لا يغفرُه اللهُ ... وأصحابُهُ في السعيرِ خالدونَ
والدَّرْك الأسفلُ من النار ... يسكنُه يومَ القيامة المنافقونَ
والله أعتد ناراً موقدة ... أحاط سُرادقها بالظالمينَ
والمتكبرون في الدنيا يُحشرونَ ... على أرضٍ أمثالُ الذرِّ يُداسونَ
واهجر الخمرة إن كنتَ ذا عقلٍ ... كيف يسعى في جُنونِ العاقلونَ
فالذين يَشْربون الخمرَ على ... رؤوسهم بمقامع الحديد يُضربونَ
ولا تقرب الزنا إنّ الزناةَ ... في النار يوم القيامة يَصْطرخونَ
والذين يأكلونَ أموالَ اليتامى ... ظُلماً يومَ القيامة ناراً يأكلونَ
ورجالٌ بطونُهم كالبيوتِ فيها ... حيّاتٌ أولئك هم للربا آكلونَ
وأناسٌ في جهنم يَطعنون بطونَهم ... بالحديد وآخرون سُماً يتحسَّونَ
أولئك الذين قتلوا أنفسَهم ... وكانوا في الدنيا من المنتحرينَ
والذين يتركون الصلاةَ سهواً ... في وادِ ويل في جهنم يُجعلونَ
والذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ... وفي سبيل الله زكاتهم لا يؤدّونَ
يوم يُحمى عليها في نارِ جهنمَ ... وفي أعناقهم ما بخلوا به يطوّقونَ
وجنودُ إبليسَ مع الغاوينَ ... في نار الجحيم يكَبْكَبونَ
هؤلاء الذين ارتكبوا الكبائرَ ... في النار يومَ القيامةِ يُجمعونَ

المطلب الثاني: المشركون بالله

هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فأشركوا بربّهم، فاستحقوا غضب الله في الدنيا وعذاب النار في الآخرة. والإشراك: أن يجعل العبدُ لله ندّاً وشريكاً يعبده مع الله، سواء كان حجراً أو شمساً أو نبياً أو شيخاً أو نجماً أو ملكاً، أو يجعل لله ولداً أو أمّاً أو صاحبة أو غير ذلك، وهو أكبر الكبائر، فلا يليق بالله تعالى أن يتخذ صاحبة أو ولداً أو شريكاً[١]، والله تعالى قال:

(١) الكبائر للذهبي (بتصرف).

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]. والمعنى أن لو كان في السماوات والأرض آلهة خالقة معبودة بحقّ إلا الله لفسدتا واختل نظام الكون لاستبداد كل إله بتصرف معيّن، فيقع التنازع والاختلاف. فتنزه الله رب العرش عما يصف هؤلاء المشركون، أعاذنا الله منه بمنّه وكرمه، وختم لنا بالحسنى في عافية بلا محنة إنه أكرم الأكرمين.

وقد بشّر الله ورسوله ﷺ المشركين بنار جهنم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال رسول الله ﷺ: «من مات يجعل لله نداً أدخل النار»[1]. وكانت البشرى الثانية من الله بعذاب النار والخلود في جهنم، وذلك ما جاء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ [البينة: ٦].

وأهل الشرك لا أمل لهم يوم القيامة في رحمة الله، لأنهم أصحاب أعظم ذنب، فعن عبد الله قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[2]. وذنبهم لا يغتفر فلا شفاعة لهم ولا غفران، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه أن لا يشرك بالله شيئاً لأن الشرك ظلم عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]. والحق أن المشرك ظلم نفسه أكبر الظلم، إذ يصبح فاسد الفكرة والنظرة نحو كل شيء حوله ونحو نفسه.

وضرب الله مثل المشركين كمثل الذي سقط من السماء فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ

(١) رواه البخاري (٦٢٨١/٢٣).
(٢) رواه النسائي (٧/باب ذكر أعظم الذنب).

سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]. والمعنى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سقط من السماء، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ أي تنهشه الطير بمجرد سقوطه على الأرض، وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي تدحرجه الريح في مكان بعيد مجهول غير مطروق[(١)].

والحالة الأولى: تمثيل لحال من أضلته الشياطين واتبع هواه، فهو فريسة لأهوائه، ما يكاد يستقر على هوى حتى ينتقل إلى هوى غيره.

وأما الحالة الثانية: فهي تمثل الكافر المصرّ على كفره وعناده، جانَبَ الإسلام ومالَ عنه، فذهب به الباطل مذهباً بعيداً، كمن تهوي به الريح في مكان سحيق.

وعن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[(٢)]. وعن أبي ذر قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم اتيته وقد استيقظ فجلست إليه، فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» (ثلاثاً) ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر[(٣)].

قال النووي: «فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابيّ اليهودي والنصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة. ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها، ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إذا لم يكن

---

(١) روح المعاني للألوسي (بتصرف).
(٢) رواه مسلم (٢/٩٣).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي.

صاحب كبيرة مات مصرّاً عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرّاً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفي عنه دخل أولاً، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلّد في الجنة، والله أعلم. وأما قوله ﷺ: «وإن زنى وإن سرق»، فهو حجّة لمذهب أهل السنة، إن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وإنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة»[1].

وفي رواية البخاري، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة أو لم يدخل النار، قال: وإن زنى وإن سرق قال: وإن»[2]. قال الكرماني في شرح الحديث: «المعنى أن من مات على التوحيد فإن مصيره إلى الجنة، وإن ناله قبل ذلك من العقوبة ما ناله، وأما لفظه: «لم يدخل النار»، فمعناه: لم يدخل دخولاً تخليدياً»[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. أي موبّخاً مطروداً من رحمة الله. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: ٢٦]. وهذا الكلام الذي ذكره الله تعالى هو موجه لملكان من ملائكة العذاب بأخذ كل من جعل مع الله إلهاً آخر وإلقائه في العذاب الشديد.

فإذا كان الإشراك بهذه الفظاعة، فإن المؤمن مطالب بالاحتراس من كل شيء يؤدي إليه أو يقرب منه، وإن العامة لتقع في كثير من الأمور وهي لا تعلم حكمها في العقيدة، وإن مسؤولية الدعاة تبيين الكثير من المسائل التي تُشْكِل الناس، وقد وقع بعض الناس في أمور تردي إلى الشرك، منها على سبيل المثال:

١ - الاستهزاء باسم الله أو بآيات القرآن الكريم.

٢ - سبّ الأنبياء وتكذيب الأحاديث الصحيحة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) رواه البخاري (٣٠١٣/١٣).

(٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني (المرجع السابق).

٣ - استبدال أحكام الله بأقوال السفهاء.

وغير ذلك الكثير.

وأما ما جاء في عذاب المشركين في النار فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]. والأثام في كلام العرب: العقاب، وبه قرأ ابن زيد وقتادة هذه الآية. وقال عبد الله بن عمر وعكرمة ومجاهد: إن (أَثَامًا) واد في جهنم جعله الله عقاباً للكفرة. قوله ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ قرأ ابن كثير ﴿يُضَعَّفْ﴾ بشد العين وطرح الألف، وبالجزم في ﴿يُضَاعَفْ وَيَخْلُدْ﴾ وقرأ أبو جعفر ﴿نُضَعِّفْ﴾ بضم النون وكسر العين المشددة. ﴿الْعَذَابَ﴾ نصب ﴿وَيَخْلُدْ﴾ جزم[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوّرين»[(٢)]. وقال ﷺ: «يخرج عنق من النار يتكلم فيقول: وكّلت بثلاثة: بكل جبار، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم»[(٣)]، ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الثالث: المنافقون

المنافقون هم الذين كفروا في السرّ وآمنوا في الإعلان، آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، هؤلاء المتلوثون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، يصفقون لكل فاسق، ويتبعون كل أمير، أصحاب وجوه متعددة، ينخرون في جسد الأمة كالسوس في العظام، يكرهون الحق ويساندون الزيف ويعاضدون الباطل.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧٥/١٣، ٧٦/باختصار).

(٢) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي /١٠/ أبواب صفة جهنم)

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢١/٢).

هؤلاء المنافقون بشّرهم الله بعذاب أليم، ليس لهم مأوى إلا جهنم يصطلون بنارها ويسكنون أسفل دركاتها. ويبيّن القرآن الكريم ما حلّ بهؤلاء المنافقين من سخط وغضب وسوء مصير، وأنهم بشروا بذلك في الدنيا قبل يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

وقال تعالى عن أعمال هؤلاء المنافقين الذين يراءون الناس بها: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي قصدنا في ذلك إلى ما كان يعمله المجرمون من عمل برّ عند أنفسهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ أي لا ينتفع به، أي أبطلناه بالكفر. وعن علي قال: الهباء المنثور شعاع الشمس الذي يدخل من الكوّة. وقال الأزهري: الهباء ما يخرج من الكوّة في ضوء الشمس شبيه بالغبار. تأويله: إن الله تعالى أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور. فأما الهباء المنبثّ فهو ما تثيره الخيل بسنابكها من الغبار[1].

وقال بعض الحكماء: مثل الذي يعمل للرياء والسمعة، كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه أمام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له: ما أملأ كيسه!! ولا يعطى به شيئاً. فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة، فليس له من عمله سوى مقاله الناس، ولا ثواب له في الآخرة[2]. وقال ﷺ: «رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[3]. يعني إذا لم تكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له فيهما.

وجاء وعيد المنافقين وتبشيرهم بالخلود في جهنم في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٢/باختصار).
(٢) الكبائر ص ٢٠.
(٣) رواه ابن ماجه (٢/كتاب الصيام/١٦٩٠).

وذكر الله تعالى في القرآن الكريم منافقين كانوا في عهد رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

كشف الله أكاذيب المنافقين وفضحهم عندما أنزل هذه الآية. إنهم خاطبوا الرسول ﷺ قبل ذلك فقالوا: نحلف إنك لرسول الله، ليحموا أنفسهم وأموالهم لا إيماناً به، والله يعلم أن المنافقون كاذبون فيما ادعوه من الإيمان. إنه قبح ما كانوا يفعلونه من الكفر والإفساد والصدّ عن الحق. وسوء أعمالهم كانت بسبب أنهم آمنوا نفاقاً باللسان، ثم كفروا بالقلب وعادوا بكفرهم في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، والخَتْم كناية عن عدم استعدادهم لقبول الإيمان، فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان. ثم خاطب الله نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤](١).

وصفهم الله بالخشب المسندة، أي ليس لهم قيمة عند الله لخلوّهم من الفهم والعلم النافع، هم أعداء الله والرسول والمؤمنين، لعنهم الله وطردهم من رحمته. وكانوا إذا قيل لهم: تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما أصبتم من ذنوب، صرفوا وجوههم عن المتكلم استكباراً، وأعرضوا عن القائل وعما دعوا إليه من الاستغفار وهم مستكبرون عن التوبة. فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون: ٦](٢).

وفي عذاب المنافقين في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. عن ابن مسعود في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: «توابيت من حديد مقفلة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/سورة المنافقون: باختصار وتصرف).

(٢) المرجع السابق.

في النار تقفل عليهم»[١]. وقال ابن الجوزي في كتابه[٢]: «تخطَفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار، فينتهي بهم إلى جب يقال له الحزن، في ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب، فيها توابيت من نار عليها أقفال من نار، على تلك البئر صخرة من كبريت، في تلك البئر باب، إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله من جبّ الحَزَن، قالوا يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد تستعيذ جهنم منه كل يوم أربعمائة مرة، أعدّ للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يراءون الأمراء الجَوَرة»[٣]. وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة»[٤].

وقال ابن مسعود: «أيّ أهل النار أشد عذاباً؟ فقال رجل: المنافقون، قال: صدقت، قال: فهل تدري كيف يعذبون؟ قال: يجعلون في توابيت من حديد تطبق عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار، في تنانير أصغر من الرخ[٥]، يقال له جب الحزن، فيطبق على أقوام بأعمالهم آخر

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٤٢٥).
(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٧٩.
(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٥).
(٤) جامع الأصول (٥/٢٦٥٤).
(٥) قطعة من قطع الشطرنج.

الأبد»[١]. وعن نصر بن نجيب قال: «إن في جهنم سبعين ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف شقّ، في كل شق سبعون ألف ثعبان، في شق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يوافق كل ذلك»[٢]. اللهم إنا نسألك العفو والعافية.

المطلب الرابع: الظالمون

الظلم ظلمات يوم القيامة، وأظلم الناس من ظلم نفسه، وأجرم الناس من ظلم غيره، والظلم يقطع حبال المودّة، ويجفي بين الأفراد، ويصنع العداوة بين الأرحام، ويزرع الحقد والحسد في قلوب الأنام، ويزكي الكراهية والعداوة بين الأغنياء والفقراء، فيمنع الأغنياء حق الفقراء، فيحقد الفقراء على الأغنياء، وتعيش الطبقتان في شقاء.

أما أفدح الظلم وأعظمه فهو ما كان من صاحبه الإشراك بالله - كما مر معنا في المطلب الثاني - قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

والظالمون بعيدون عن رحمة الله، وفعلهم يستوجب غضب الله، ومن غضب الله عليه أعد له سوء المصير في الآخرة، وبشّره بنار جهنم وهو على قيد الحياة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. وكذلك بشّر أعوان الظلمة والظالم بالنار فقال: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

ويحذّر الله عز وجل عباده من الاغترار بفعل الظالمين أو اتباع خطواتهم لأن ذلك لم يكن عليهم إلا حسرة وندامة يوم الدين، يقول عز وجل: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤٥).

(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٩).

﴿الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]. يوم يدعوا أعوان الظلمة والذين اتبعوا الظالمين على الظالمين باللعن الكبير والابتعاد عن الرحمة لما لقوا بسببهم من بُعد عن رحمة الله يوم القيامة. وقرأ عاصم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ على أن اللعن الذي يلعنونهم به كبير، وقرأ الباقون ﴿لَعْنًا كَثِيرًا﴾ على أن اللعن الذي يلعنونهم به كثير بالعدد.

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ [١]: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تَظَالموا». وقال سيمون بن مهران: «إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قيل: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: (ألا لعنة الله على الظالمين) وهو ظالم»[٢]. وسئل أبو القاسم الحكيم: «هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العبد: أولها ترك الشكر على الإسلام، والثاني: ترك الخوف من ذهاب الإسلام، والثالث: الظلم على أهل الإسلام»[٣]. وعن سفيان الثوري (رحمه الله) أنه قال: «إن لقيتَ الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»[٤]. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة، من قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام جائر»[٥] أي ظالم.

ومن الآثار التي وردت تبشر الظالمين بعذاب أليم في يوم القيامة لا أنساب فيه ولا بيع ولا شراء، ولا تقبل فيه توبة ولا ينفع فيه ندم.

روي: «خمسة غضب الله عليهم، إن شاء أمضى عضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ من رعيته ولا

---

(١) الأحاديث القدسية (٢١٨).

(٢) تنبيه الغافلين ص ١٧٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الترغيب والترهيب (١٦٨/٣).

ينصفهم في نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم. وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف، ويتكلم بالهوى. ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم. ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفّه أُجرته. ورجل ظلم امرأة صداقها»[١].

وقال النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدون ريحها. وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[٢]، وقال ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالها شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غالّ مارق»[٣].

وكثيراً ما نجد الظالمين يتمادون في ظلمهم ويعمّرون في الحياة، ويظن البعض أن لا عذاب لهم ولا انتقام منهم، ولكن الحقيقة أن الله يُمهلهم ولا يهملهم، ويؤخرهم إلى يوم تشخص فيه الأبصار، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٤].

وذكر ابن أبي ميسرة قال: «أتي بسوط إلى رجل في قبره بعد ما دفن فجاءاه، يعني منكراً ونكيراً، فقالا له: إنا ضارباك مائة سوط، فقال الميت: إني كنت كذا وكذا، فتشفّع حتى حطّا عنه عشراً، ثم لم يزل بهما حتى صار إلى ضربة واحدة، فقالا: إنا ضارباك ضربة، فضرباه واحدة فالتهب القبر ناراً، فقال: لِمَ ضربتموني، فقالا: مررت برجل مظلوم فاستغاث بك

---

(١) الكبائر ص ١١٨.

(٢) رواه مسلم (١٧/١٩٠).

(٣) الترغيب والترهيب (٣/١٨٥).

فلم تغثه. فهذا حال الذي لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم»[1].

قال الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا كنتَ مقتدراً ... فالظلمُ يرجع عقباه إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ الله لم تَنَمِ

وعن عبد الله بن أنيس ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلاً بُهماً. قال: قلنا: وما بهماً؟ قال ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا الملك أنا الديّان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة. قال قلنا: كيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهماً؟ قال بالحسنات والسيئات»[2]. وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يارب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفي منه حتى يدخل النار»[3].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإنّ ذلك نصره»[4].

وفيما جاء في عذاب الظالم في النار، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالحكام الظالمين يوم القيامة، بمن

---

(١) تنبيه الغافلين ص ١٧٦.
(٢) مسند الإمام أحمد (١٥٦١٢/٤).
(٣) نهاية البداية والنهاية (٥٥/٢).
(٤) الترغيب والترهيب (٣/ ١٩١).

قضى قبلي ومن يجيء بعدي، فيقول الله: أنتم خُزّان أرضي ورعاة عبادي وعندكم بغيتي، فيقول للذي قضى قبلي: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: الرحمة، فيقول الله جل جلاله: أنت أرحم بعبادي مني؟ ويقول للذي بعدي: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: غضبت لك، فيقول أنت أشد غضباً مني؟ فيقول الله: انطلقوا بهم فسدوا بهم ركناً من أركان جهنم»[(١)]. وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار»[(٢)]. وقال رسول الله ﷺ: «من وليَ أمة من أمتي قلّت أو كثرت فلم يعدل، كبّه الله على وجهه في النار»[(٣)]. وروى البيهقي في سند متصل عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: كان يزيد بن شجرة رجلاً من الزهّاد، وكان معاوية يستعمله على الجيوش، فخطبنا يوماً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوام وحيّات كالبخاتي[(٤)] البزل[(٥)]، فإذا سأل أهل النار التخفيف، قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم، وبما شاء الله من ذلك، فيسلّطها عليهم، فيرجعون فيتأدون إلى معظم النار، ويسلط عليهم الجَرَب، حتى إن أحدهم ليحكّ جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين»[(٦)]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الخامس: المتكبرون

الكِبْر داء عضال يصعب علاجه، لا يلتقي والعبادة، ولا يسكن قلباً مع الإيمان، والكبر هلاك لأهله لأنهم ينسون به أصلهم، وينكرون نعمة ربهم، فقد أخرج الكبر إبليس من رحمة الله، وبسببه كتب الله عليه اللعنة

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٥٥/٢).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٥٣/٢).
(٣) الترغيب والترهيب (١٧٣/٣).
(٤) الإبل الخرسانية.
(٥) الناقة حين يطلع ناب أحدها.
(٦) نهاية البداية والنهاية (١٦٠/٢).

إلى يوم الدين، وهذا الأمر يطبق على جميع المتكبرين.

والكِبْر بكسر الكاف وإسكان الباء. قال الراغب: «الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص به الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة، والتكبر يأتي على وجهين:

الأول: أن تكون الأفعال زائدة على محاسن الغير، ومن ثَم وصف سبحانه وتعالى بالمتكبر.

والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً بما ليس فيه، وهو وصف عامة الناس نحو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، والمستكبر مثله»(١).

وقال الغزالي: «الكبر على قسمين، فإن ظهر على الجوارح يقال له تكبر، وإلا قيل في نفسه كبر»(٢). والأصل هو الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه ومتكبراً به، وبه يفصل الكبر عن العجب(٣). وأخرج عبد بن حميد من حديث ابن عباس رفعه: «الكبر السفه عن الحق وغَمْص الناس، فقال يا نبي الله وما هو؟ قال السفه أن يكون لك على رجل مال فينكره فيأمره رجل بتقوى الله فيأبى. الغمص: أن يجيء شامخاً بأنفه، وإذا رأى ضعفاء الناس وفقراءهم لم يسلم عليهم ولم يجلس إليهم محقرة لهم»(٤).

وقد عدّ الإمام الغزالي سبعة أسباب يتطرّق إليها الاستعظام واعتقاد صفة

---

(١) فتح الباري (١٣/١٠١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) فتح الباري (١٣/١٠٢).

الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالدين هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار[١].

وقد بشر الله تعالى ورسوله ﷺ كل متكبر بنار جهنم، فقال الله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]. وقال الرسول ﷺ: «قال عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»[٢].

قال السمرقندي (رحمه الله): «العظمة إزاري والكبرياء ردائي يعني أنهما من صفاتي، كما مر في القرآن العزيز الجبار المتكبر - فهما صفتان من صفات الله تعالى، فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر»[٣].

وقال ﷺ: «بئس البعد عبد تخيّل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى»[٤]. وقال ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله، يعني إليهم يوم القيامة: الإمام الكذاب، والشيخ الزاني والعائل المزهو»[٥].

والمزهو هو المتكبر، لأن الزهو معناه الكبر والفخر، يقال: زُهِيَ الرجل، بضم الزاي وكسر الهاء فهو مزهو، وإنما خصّ الفقير بالذكر أيضاً لأن كبره مع فقد سببه في نحو مال وجاه يدل على كونه مطبوعاً عليه مستحكماً فيه، فيستحق أليم العذاب وفظيع العقاب[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف

---

(١) الترغيب والترهيب (٣/٥٧٧).

(٢) الأحاديث القدسية (٢٢٣).

(٣) تنبيه الغافلين ص ٩١.

(٤) الترغيب والترهيب (٣/٥٧٠).

(٥) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (١٦/١٨٢).

(٦) شرح الحديث (المرجع السابق).

لو أقسم على الله لأبرّه. ألا أخبركم بأهل النار، كل عتلّ جوّاظ متكبر»[1].

جاء في تفسير القرطبي عند قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٣]. قال رجل عَتِل: أي سريع الشر، ووقع في كتاب أبي داوود في تفسير الجوّاظ أنه الفظّ الغليظ.

وذكر أن موسى (صلوات الله وسلامه عليه) ناجى الله تعالى فقال: «يا رب مَن أبغض خلقك إليك؟ قال: يا موسى من تكبر وغلظ لسانه وضعف يقينه وبخلت يده»[2].

قال أبو بكر ﷺ: لا تحقرنّ أحداً من المسلمين فإن حقير المسلمين عند الله كبير. وقال الأحنف: عجباً لابن آدم، يتكبر وقد خرج من البول مرتين. وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال لها: أنت حرام على كل متكبر[3].

وقال الشاعر:

تواضعْ تكن كالنجم لاح لناظرٍ　　على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسِهِ　　إلى طبقاتِ الجوّ وهو وضيعُ

واقرأ معي أيها القارئ الكريم كيف كان تواضع سادة الدنيا الأعزاء عند الخلق والملائكة والله سبحانه وتعالى، رسول الله ﷺ وأصحابه المكرمين.

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوتيت مفاتيح الأرض فخيرت بين أن أكون عبداً نبياً أو نبياً ملكاً، فأومأ إليّ جبريل أن تواضع

(١) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي/١٠/أبوب جهنم).
(٢) تنبيه الغافلين ص٨٨.
(٣) الزواجر (٨٩/١).

وكن عبداً، فاخترت أن أكون عبداً نبياً فأوتيت ذلك، وإني أول من ينشق عنه الأرض وأول شافع»[1]. وعن قيس بن حازم قال: «لما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه علماؤنا وكبراؤنا فقيل اركب هذا البرذون - أي الدابة - يرك الناس، فقال: إنكم ترون الأمر من ههنا، إنما الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء، خلّوا سبيلي»[2]. وفي رواية أخرى أن عمر ﷺ جعل بينه وبين غلامه مناوبة، فكان يركب الناقة ويأخذ عمر بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ، ثم ينزل ويركب الغلام ويأخذ عمر بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ، فلما قربا من الشام كانت نوبة ركوب الغلام، فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة، فاستقبله الماء في الطريق، فجعل عمر يخوض في الماء ونعله تحت إبطه اليسرى وهو آخذ بزمام الناقة، فخرج أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام، وقال: يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة فقال عمر ﷺ: إنما أعزنا الله تعالى بالإسلام، فلا نبالي من مقالة الناس[3]. وعن أبي عبد الله بن أبي جعفر قال: «دخل علي ابن أبي طالب ﷺ السوق فاشترى قميصين من هذه الكرابيس بستة دراهم، ثم قال لغلامه يا أسود اختر أيهما شئت. فاختار الغلام خيرهما، ولبس علي (كرم الله وجهه) الآخر، ففضل كمّاه على أطرافه فدعا بالشفرة فقطع كميه وخطب بالناس يوم الجمعة ونحن ننظر إلى تلك الهدب على ظهر كفيه، ورأى رجلاً قد أسبل ثوبه فقال: يا فلان ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لقلبك وأبقى عليك»[4].

وقال الفقيه السمرقندي (رحمه الله): «اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين، لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٩٠.

(٢) تنبيه الغافلين ص ٨٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تنبيه الغافلين ص ٩٠.

يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥]. وقال: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩]. وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]. وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني متواضعين، ومدحهم بتواضعهم وأمر نبيّه ﷺ بالتواضع فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ومدح النبيّ ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]. وكان خُلُقه التواضع لأنه روي في الخبر أنه كان يركب الحمار، ويجيب دعوة المملوك، فثبت أن التواضع من أحسن الأخلاق، وكان الصالحون من قبل أخلاقهم التواضع، فوجب علينا أن نقتدي بهم (رضي الله عنهم)»[١].

ومما جاء في عذاب المتكبرين في النار، قال رسول الله ﷺ: «تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوّرين»[٢]. وقال ﷺ: «إن في جهنم وادياً، في الوادي بئر يقال له هبهب، حق على الله أن يسكنه كل جبار»[٣]. وقال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صور الناس، يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال به بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»[٤]. والأنيار جمع نار، وأصلها الأنوار لأنها من الواو، ولكن عدل عن الواو إلى الياء منعاً للالتباس بالأنوار التي هي جمع

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٨٩.
(٢) رواه الترمذي (عارضة/الأحوذي/أبواب صفة جهنم).
(٣) نهاية البداية والنهاية (١٥٦/٢).
(٤) رواه الترمذي (١٠/أبواب صفة جهنم).

نور، ونار الأنيار أشد النيران لهيباً وأفظعها حريقاً[1].

وعن ابن المبارك قال: أخبرنا موسى بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يذكر عن بعض من حدّث، قال: «ثلاثة قد آذوا أهل النار - وكل أهل النار في أذى -: رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم فيضجّون حتى تعلو أصواتهم أهل النار، فيقول لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فُعِل بكم هذا؟ فقالوا: كنا متكبرين. ورجال قد شقّت بطونهم يَسحبون أمعاءهم في النار، فقال لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نقطع حقوق الناس بأيمانهم وأمانتنا. ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون، قيل لهم: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نسعى بين الناس بالنميمة»[2]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب السادس: شاربو الخمر

الخمر: ما خامر العقل، أي غطاه وستره، سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً. عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «كل مسكر حرام وكل مسكر خمر»[3].

قال السندي في تفسير الحديث: «كل مسكر خمر، يحتمل أن المراد أن الخمر اسم لكل ما يوجد فيه السكر من الأشربة، ومن ذهب إلى هذا قال أن للشريعة أن تحدث الأسماء بعد أن لم تكن، كما أن لها أن تضع الأحكام، ويحتمل أن معناه أن كل مسكر سوى الخمر كالخمر في الحرمة»[4].

وقد جاء في نص القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا

---

(١) نهاية البداية والنهاية (١٣٨/٢).

(٢) التذكرة ص ٤٨٠.

(٣) سنن النسائي (٧/باب إثبات اسم الخمر...).

(٤) المرجع السابق.

ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

قال أحد العلماء: «إن الله تبارك وتعالى قال عن الخمر: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، والاجتناب أكبر من التحريم، فكلمة الاجتناب معناها أن تبتعد عن مواطنه، وكلمة حرام معناها أن لا تمسه ولا تشربه، فكل شيء محرم قال عنه هو حرام، إلا الخمر قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، لذلك جاء في الحديث النبوي الذي رواه ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومستقيها»[(١)]».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا يرفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو»[(٢)].

وقال الفقيه السمرقندي رحمه الله: «إياك وشرب الخمر، فإن فيه عشر خصال مذمومة، أولها: أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون، ويصير ضحكة للصبيان ومذمة عند العقلاء، كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال: رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول وهو يتمسح ببوله وهو يقول: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. الثاني أنها متلفة للمال مذهبة للعقل كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أرنا رأيك في الخمر فإنها متلفة للمال مذهبة للعقل. والثالث: أن شربها سبب العداوة بين الإخوان والأصدقاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١] وهو القمار. والرابع: أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ

(١) رواه أحمد في الفتح الرباني (١٦/٢٢٩).

(٢) رواه ابن حبّان (١٢/٥٣٥٥).

﴿ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] يعني انتهوا عنها، فلما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد انتهينا رب. والخامس: أن شربها يحمله على الزنا لأنه إذا شرب الخمر يطلق امرأته وهو لا يشعر. والسادس: أنها مفتاح كل شر، لأنه إذا شرب الخمرسهل عليه جميع المعاصي. والسابع: أنه يؤذي حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق وبوجود الرائحة المنتنة منه، فلا ينبغي أن يؤذي من لا يؤذيه. والثامن: أنه أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يضرب في الدنيا، فإنه يضرب في الآخرة بسياط من النار على رؤوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء. والتاسع: أنه ردّ باب السماء على نفسه لأنه لا ترفع له حسناته ولا دعاؤه أربعين يوماً. والعاشر: أنه مخاطر بنفسه لأنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته، فهذه العقوبات في الدنيا قبل أن ينتهي إلى عقوبات الآخرة، فأما عقوبات الآخرة فإنها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وفَوت الثواب، فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة»[١].

قال الشاعر:

واهجر الخمرةَ إن كنت فتًى كيف يسعى في جنونٍ من عقَلْ

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الذنوب والخطايا جُعلت كلها في بيت واحد، وجعل مفتاحه شرب الخمر»[٢]. يعني إذا شرب الخمر فتح على نفسه أبواب الخطايا كلها. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: من زوّج كريمته من شارب الخمر، فكأنما ساقها إلى الزنا. ومعناه أن شارب الخمر إن سكر كثر كلامه في الطلاق، فقد حرمت عليه امرأته، وهو لا يشعر[٣]. وقال كعب الأحبار: «لَأَن أشرب قدحاً من نار، أحبّ إليّ من أن أشرب قدحاً من خمر»[٤].

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٧٠ (باختصار).
(٢) تنبيه الغافلين ص ٧٢.
(٣) المرجع السابق.
(٤) تنبيه الغافلين ص ٦٨.

وقال الشاعر:

الـخـمـرُ وَلاّدة لـلـشـر أجـمَـعُـه ... ومن ولادتـهـا الـعـصـيـان والـكـفـرُ
تعصي الإله إذا ما عِشْتَ تشربها ... وتُبعد الخيرَ والإحسانَ والشكرُ
العبدُ يشربُها واللعن تابِعها ... والخزي شامِله والويل والعسرُ

وعن عثمان بن عفّان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اجتنبوا أم الخبائث، فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته - أي أحبته - امرأة فأرسلت إليه خادماً: إنا ندعوك لشهادة فدخل، فطفقت كلما يدخل باباً أغلقته دونه، حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية - أي إناء كبير - فيها خمر، فقالت: إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام، أو تقع عليّ، أو تشرب كأساً من الخمر، فإن أبيت صحتُ بك وفضحتك، قال: فلما رأى أنه لا بد له من ذلك، قال: اسقيني كأساً من الخمر، فسقته كأساً من الخمر، فقال: زيديني، فلم تزل حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبداً، ولَيوشكنّ أحدهما أن يخرج صاحبه»[(1)].

فينبغي للمسلم أن يمتنع من شرب الخمر، وينقطع عمن يشربها، فإنه إذا خالط شارب الخمر فلا بد أن يصيبه من غباره، وينبغي أن يتفكر في هول القيامة، فإن تفكر في هول يوم القيامة فلا يميل قلبه إلى شرب الخمر ولا إلى صحبة شارب الخمر.

وقال ابن عمر: «لا تسلّموا على شَرَبة الخمر». وقال رسول الله ﷺ: «لا تجالسوا شُرّاب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم، وإن شارب الخمر يجيئ يوم القيامة مسوداً وجهه مدْلَعاً لسانه على صدره يسيل لعابه، يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب الخمر»[(2)].

---

(١) الترغيب والترهيب (٢٥٨/٣).

(٢) الكبائر ص ٩٤.

وأما قول الله تعالى الذي يحتجّ به بعض الجهال الذين يشربون الخمر بأن الخمر حلال: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]. روى عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لما نزلت آية الخمر قالوا: فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ يعني لا إثم على الذين شربوا قبل التحريم، والله أعلم[١].

ومما جاء في عذاب شارب الخمر في النار، عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر، سقاه الله من حميم جهنم»[٢]. وقال ﷺ: «كل مسكر حرام، إن الله عز وجل عهد لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينه الخبال. قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال. قال: عَرق أهل النار، أو قال: عصارة أهل النار»[٣]. وقال ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدّق بالسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»[٤]. وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الدنيا وهو سكران، دخل القبر سكران، وبعث من قبره سكران، وأمر به إلى النار سكران، إلى جبل يقال له سكران، فيه عين يجري منها القيح والدم، وهو طعامهم وشرابهم ما دامت السماوات والأرض»[٥].

وروي: «أن شَرَبة الخمر إذا أتوا على الصراط، يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصبّ من السماء لاحترقت السماوات من حرّها»[٦].

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٧٣.
(٢) الترغيب والترهيب (٣/٢٦١).
(٣) رواه النسائي (٨/باب ذكر ما أعد الله لشارب الخمر).
(٤) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٦).
(٥) الترغيب والترهيب (٣/٢٦٦).
(٦) الكبائر ص ٩٦.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يساق أهل الزنا وشارب الخمر إلى النار يوم القيامة، فإذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد، ويضربونهم في النار بعدد أيام الدنيا، ثم يدفعونهم إلى منازلهم في النار، فلا يبقى عضو حتى تلدغه عقرب وتنهشه حية على رأسه أربعين سنة، لا يبلغ الدرجة ثم يرفع اللهب إلى رأس الطبقة فتضربه الزبانية فيهوي إلى قعر النار ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، ثم يعطشون عطشاً شديداً، فينادون: واعطشاه، اسقونا شربة من الماء، فتقدم لهم الملائكة الموكلون بعذابهم أقداحاً من جهنم تغلي وتفور، فإذا تناول شارب الخمر القدح سقط لحم وجهه، فإذا وصل الحميم في بطنه قطع أمعاءه وخرجت من دبره، ثم تعود كما كانت ثم يضرب، فهذه عقوبة شارب الخمر»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «يأتي شارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق في عنقه والطنبور في كفّه حتى يصلب على خشبة من نار، فينادي مناد: هذا فلان بن فلان، فتخرج من فمه نتنة ويلعنونه، ثم تلقيه الزبانية من الصَّلب، ويطرحونه في النار فيبقى فيها ألف سنة، فينادي: واعطشاه، ثم يرسل الله تعالى عليه عرقاً منتناً، فينادي: رب ارفع عني هذا العرق، فلا يرفع عنه حتى تجيء نار تحرقه فيصير رماداً، ثم يعيده الله سبحانه فيخلقه خلقاً جديداً من نار، فيقوم مغلولة يداه مقيّدة رجلاه يسحب فيها بالسلاسل على وجهه يستغيث من العطش، فيسقى من الحميم ويستغيث من الجوع، فيطعم من الزقوم فيغلي في بطنه، وعند مالك نعال من نار فيلبسه منها نعلين تغلي منهما دماغه حتى يخرج المخ من أرنبته، وأضراسه من جمر يخرج لهيب النار من فمه، وتتساقط أحشاؤه من قدامه، ثم يجعل في تابوت من جمر ألف سنة طويل عذابه يضيق مدخله سائل صديد متغير لونه يقول: يا ربّاه، قد أكلت النار لحمي. فويل له إذا شكا لا يرحم، وإذا نادى لا يُجاب، ثم يستغيث من العطش، فيسقيه مالك شربة الحميم فيتناولها فتتساقط أصابعه، فإذا نظرها

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٣.

وقعت عيناه وخدوده، ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام فيجعل في سجن فيه حيّات وعقارب أمثل البخت يأخذون بقدميه، ثم يوضع على رأسه خرزة من نار، ويجعل في مفاصله الحديد وفي يده الأغلال وفي عنقه السلاسل، ثم يخرج من السجن بعد ألف سنة، فتأخذه الزبانية إلى وادي الويل، والويل واد في جهنم أشدها حراً وأبعدها قعراً وأكثرها حيّات وعقارب، ويبقى في وادي ويل ألف سنة ثم ينادي: يا محمد يا محمد، فيسمع النبي ﷺ نداءه فيقول: يا رب صوت رجل من أمتي في جهنم، فيقول الله سبحانه وتعالى: هذا رجل من أمتك شرب الخمر في الدنيا ومات غير تائب، فيقول النبي ﷺ: يا رب قد خرج من شفاعتي إلا أن تعفو عنه»[1]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب السابع: الزناة

الزنا هتك لأعراض الآخرين واعتداء صارخ وخسران مبين، به تقطع سبل المودة، وتضيع الكرامة، وتختلط الأنساب، ويذهب الحياء، لا يرضاه المؤمن لنفسه ولا يرضاه لغيره، تأباه النفوس الكريمة، وترفضه القلوب الطاهرة، لذا وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

ولشدة جرم هذا الصنيع «الزنا» وفداحته جعل الله له عقاباً في الدنيا، ألا وهو الحد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

أي: ﴿الزَّانِيَةُ﴾ من النساء و﴿وَالزَّانِي﴾ من الرجال ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يعني مائة سوط، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ يعني لا تأخذكم الرأفة والرحمة في حدّ الله تعالى، وقرأ ابن كثير ﴿رَأَفَةٌ﴾ بفتح الهمزة، ومعناه ولا تحملكم الشفقة على إبطال الحد فإن الله تعالى أرحم بعباده منكم وأمر بحدّ الزانين في الدنيا، فمن لم يقم حده في الدنيا فإنما

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٤.

يضرب يوم القيامة بسياط من نار على مشهد الخلائق، ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعني إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبيوم القيامة فلا تعطلوا الحد، ثم قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني وليحضر عند إقامة الحد جماعة من المؤمنين، ليكون أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما، فإن الفضيحة قد تُنكل أكثر مما ينكل التعذيب، فهذا حد لمن لم يكن محصناً، فأما إذا كان محصناً فهو الرجم إذا كانت له امرأة وقد دخل بها، أو زنت امرأة وكان لها زوج وقد دخل بها، فحدّهما الرجم[(١)]. وقال العلماء في هذه الآية: «هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين، فإن كانا متزوجَين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر، فإنما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يلج الناس به النار، قال «الأجوَفان، الفم والفرْج»[(٣)].

فمن أكثر ما يلج الناس به النار هو الفرج، لما يتأدى به من الزنا ولما ينشأ من ذلك من الفساد، وقد سمّاه الله فاحشة فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢][(٤)].

وعن ميمونة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفشَ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمّهم الله بعذاب»[(٥)]. وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الزنا يورث الفقر»[(٦)]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله، يعني إليهم يوم القيامة: الإمام الكذاب، والشيخ الزاني، والعائل المزهو»[(٧)].

(١) تنبيه الغافلين ص ١٦٨.
(٢) الكبائر ص ٥٩.
(٣) رواه أحمد في الفتح الرباني (١٦/١٨٣).
(٤) المرجع السابق.
(٥) الترغيب والترهيب (٣/٢٧٧).
(٦) الترغيب والترهيب (٣/٢٧١).
(٧) رواه أحمد في الفتح الرباني (١٦/١٨٢).

والمراد بالشيخ من زادت سنّه عن الأربعين، وخُص بالذكر أيضاً لأنه كمل عقله وذهب عنه طيش الشباب وداعية الزنا عنده قد ضعفت وهمته قد فترت، فزناه عناد ومراغمة[1]. وعن النبي ﷺ قال: «إن السماوات السبع والأرضين السبع ليلعنّ الشيخ الزاني»[2].

وجاء: «أن إبليس يبثّ جنوده في الأرض ويقول لهم: أيكم أضلّ مسلماً ألبسه التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة، فيجيئ إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلّق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يصالحه، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول إبليس: نعم ما فعلت، فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا شباب قريش: احفظوا فُروجكم، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة»[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله - أي يدخلهم في رحمته وقيل أي ظل عرشه - يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله - أي تصاحبا بسبب طاعة الله - اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[5].

وفي عذاب الزناة والزواني في جهنم، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا

(١) شرح الحديث (المرجع السابق).
(٢) الترغيب والترهيب (٣/٢٧٦).
(٣) الكبائر ص ٦١.
(٤) الترغيب والترهيب (٣/٢٨٢).
(٥) الترغيب والترهيب (٣/٢٨٠).

يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدّق بالسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة. قيل وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات(١)، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»(٢). وقال ﷺ: «إن السماوات السبع والأرضين السبع ليلعنّ الشيخ الزاني، وإن فروج الزناة ليؤذي أهل النار نتن ريحها»(٣). وقال ﷺ: «من قعد على فراش مغيبة، قيّض الله له ثعباناً يوم القيامة»(٤). وعن عطاء في تفسير قوله تعالى عن جهنم: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجرات: ٤٤]. قال: «أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل وجوههم ناراً يُعرفون بين الخلائق بنتن فروجهم يسحبون على وجوههم إلى النار، فإذا دخلوها يلبسهم مالك دروعاً من نار، ولو وضع درع الزاني على جبل شامخ عال ساعة لصار رماداً، ثم يقول مالك: يا معشر الزبانية اكووا عيون الزناة بمسامير من نار كما نظرت إلى الحرام، وغلّوا أيديهم بأغلال من نار كما امتدت إلى الحرام، وقيدوا أرجلهم بقيود من نار كما مشت إلى الحرام. فتقول الزبانية: نعم نعم، فتغل الزبانية أيدهم بالأغلال وأرجلهم بالقيود وأعينهم تكوى بالمسامير، فهم ينادون: يا معشر الزبانية ارحمونا، خففوا عنا العذاب ساعة، فتقول لهم الزبانية: كيف نرحمكم ورب العالمين غضبان عليكم»(٦).

وقال ﷺ: «ليلة أسري بي إلى السماء رأيت رجالاً ونساء محبوسين مع العقارب والحيّات، العقارب تلدغهم والحيات تنهشهم، فموضع كل

---

(١) الزانيات.

(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٥٦).

(٣) الترغيب والترهيب (٣/٢٧٦).

(٤) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٩).

(٥) التذكرة ص ٦١.

(٦) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٧٠.

قبلة جرت بينهما تدقّهم العقارب بمقاراتها، وفي كل مقارة راوية سم، تفرغ لحم من تقرضه يسيل من فُروجهم الصديد يصيح أهل النار من نتنه وهم معلقون بشعورهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال الزانون والزانيات»[١].

وورد في الزبور مكتوباً: «إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه»[٢]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الثامن: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

المال أمانة لا يحرص عليها إلا ذو إيمان قوي، ذلك لأن للمال بريقه وإغراؤه والإنسان بطبيعته ضعيف. لذا يجب أن يتسلح بالإيمان ويتزود بالتقوى ويخاف الرحمن، وأن يتعامل مع الأمانات بدقة وحذر، وتشتد المسؤولية إذا كان هذا المال لضعيف تحت رعايتك وهو «اليتيم» الذي فقد والده أو والدته، فبقدر ما أوصى الله عليه ووعد على رعايته نعيم الجنة والخلد فيها، بقدر ما أنزل الله بالوعيد من يعتدي عليه وبشره بالنار وهو فيها من الخالدين.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً، فقيل من هم يا رسول؟ قال: ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]»[٣]. وقال ﷺ: «أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل ربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه»[٤]. وقال

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) الكبائر ص ٥٩.

(٣) الكبائر ص ٧٤.

(٤) الترغيب والترهيب (٣/٢٥٤).

السدي (رحمه الله): «يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه كل من رآه أنه آكل مال اليتيم»[١].

والأكل من مال اليتيم بالمعروف يختلف تماماً عن الأكل ظلماً وعدواناً، وقد قال العلماء: فكل ولي يتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسُحت حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]. وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

الثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

الثالث: أنه بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملاً.

الرابع: أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر فهو في حلّ، وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره[٢].

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام: «يا داوود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد: أي كما تفعل يُفعل معك، إذ لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة»[٣].

وقال داوود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي،

---

(١) الكبائر ص ٧٥.

(٢) وانظر الكبائر ص ٧٥.

(٣) الزواجر (٣٤٢/١).

معناه ظل عرشي يوم القيامة[1]. وكان رسول الله ﷺ يمسح رؤوسهم ويلطف معهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك.

وفي عذاب آكل مال اليتيم في جهنم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار تخرج من أسافلهم، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»[2]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب التاسع: الذين يأكلون الربا

الربا عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما، وهو من أكبر الكبائر ولم يحل في شريعة قط، ولم يؤذن الله في كتابه عاصياً بالحرب سوى آكله، وإنّ أكله علامة على سوء الخاتمة كإيذاء أولياء الله تعالى، فإن صح فيه الإيذان بذلك. وهو على ثلاثة أنواع:

«ربا الفضل»: وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر ومنه ربا القرض، وهو كل قرض اشترط فيه جر نفع للمقرِض، كأنه شرط عليه أن يرد في قرض دينار دينارين.

و«ربا اليد»: وهو البيع مع تأخير قبضتها أو قبض أحدها.

و«ربا النساء»: وهو البيع لأجَل[3].

ولقد حرم الله الربا وجعله من الكبائر لما فيه من استغلال وتعطيل للقوى البشرية، وأحل الله البيع لما فيه من المنفعة والبركة والعمل، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وعن علي رضي الله عنه

---

(١) الكبائر ص ٧٧.
(٢) الزواجر (٣٤٣/١).
(٣) الترغيب والترهيب (١٤/٣/باختصار).

قال: «لعن رسول الله ﷺ: آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه، والواشمة والمستوشمة للحسن ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له، وكان ينهى عن النَّوح»[١].

وأصل اللعن من الله عز وجل الطرد والإبعاد عن رحمته، ومن الخلق السب والدعاء. والويل لمن دعا عليه النبي ﷺ بالطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل. وآكل الربا هو آخذه وإن لم يأكل، وإنما عبّر عنه بالأكل لأن الأكل أعظم المنافع، لأن الربا شائع في المطعومات، وهو في اللغة: الزيادة[٢] وقوله ﷺ: «مؤكله» بالهمز ويبدل، أي معطيه لمن يأخذه وإن لم يأكل منه نظراً إلى أن الأكل هو الأغلب كما تقدم. وقد استحق هؤلاء اللعن من حيث رضاهم به وإعانتهم عليه[٣].

وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من الربا، ومن أثره السيئ في الحياة الدنيا لأنه يمحق البركة ويورث الأمراض وتظهر علامات انتقام الله على المرابي قبل موته، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠]. وقال: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وأما الذين يصرّون على التعامل بالربا ويرفضون التوبة فهم بذلك يسعون في الأرض فساداً، فاستحقوا أن يعلن الله عليهم الحرب فنزل عليهم سخطه وجعل مصيرهم جهنم يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة ٢٧٨، ٢٧٩].

وعن عبد الرحمن بن سابط قال: «إنما يؤذن في هلاك القرن إذا استحلوا أربعاً: إذا نقصوا الميزان، وبخسوا المكيال، وأظهروا الزنى، وأكلوا

(١) رواه أحمد في الفتح الرباني (١٥/أبواب الربا/٢٢٥).
(٢) شرح الحديث (المرجع السابق).
(٣) المرجع السابق.

الربا، لأنهم إذا أظهروا الزنى أصابهم الوباء، وإذا نقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر، وإذا أكلوا الربا جرد عليهم السيف»[١]. وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: «يا معشر الأعاجم: إنكم ولّيتم أمرين بهما أهلك من كان قبلكم من القرون الماضية: المكيال والميزان»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينّ على أمتي زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره»[٣]. يعني يصيبه من إثمه، لأنه يعين على ذلك فيكون شاهداً أو كاتباً أو راضياً بفعله فله حظ من الفعل، فينبغي للتاجر أن يتعلم من العلم مقدار ما يحتاج إليه لتجارته لكيلا يأكل الربا، وكذلك ينبغي أن يجتهد في الكيل والوزن، لأن الله تعالى شدد في أمر الكيل والوزن وأوعد الوعيد الشديد فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١]. أي شدة العذاب في الآخرة. وقال ابن عباس: «إنه واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار»[٤].

وقال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفيف، وهو القليل، والمطفِّف هو المقلّ حق صاحب بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن[٥]. ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين: ٢ - ٥]. قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إنكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يحظرون التطفيف ببالهم، لا يخمنون تخميناً، ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فمسئولون عما يفعلون. والظن هنا بمعنى اليقين، أي لا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن. وقيل: الظن بمعنى التردّد أي إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنّوه، حتى يتدبروا ويبحثوا عنه،

---

(١) تنبيه الغافلين ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الترغيب والترهيب (٣/١٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٢٥٠).

(٥) المرجع السابق.

ويأخذون بالأحواط ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ شأنه، وهو يوم القيامة[1].

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك والذنوب التي لا تغتفر: الغلول فمن غل شيئاً أتى به يوم القيامة، وآكل الربا، فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنوناً يتخبّط، ثم قرأ ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]»[2]. وقيل: «يأذن الله تعالى للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا، فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، يعني كالمجنون كلما قام سقط»[3]. وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيّلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادهم يوم السبت، فحفروا له حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير، وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين[4].

ومما جاء في عذاب الذين يأكلون الربا في جهنم قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي رجلاً يسبح في نهر ويلقم الحجارة فسألت ما هذا. فقيل لي: آكل الربا»[5]. يلقم بالحجارة: أي يرمى بالحجارة في فيه فيلتقمها. وقال ﷺ: «أكلة الربا تصرعهم الزبانية كما يصرع المحموم»[6]. وقال ﷺ: «إن في جهنم وادياً تستغيث أودية النار من حره في كل يوم خمس مرات، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حره يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والمطففون في المكيال وأهل بخس الميزان، فويل لمن باع الجنة

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٢٥٤).
(٢) الترغيب والترهيب (٣/١٠).
(٣) تنبيه الغافلين ص ١٧١.
(٤) الكبائر ص ٧٢.
(٥) رواه أحمد في الفتح الرباني (١٥/٢٣٣).
(٦) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٨١.

التي عرضها السماوات والأرض بحبة أو حبتين»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «الذي يبخس الميزان يجيء يوم القيامة أسود الوجه ألثع اللسان أزرق العينين، في عنقه ميزان يقال له: زن هذا إلى هذا، فيعذب بين الجبلين خمسين ألف سنة»[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا أنا برعد وبروق وصواعق. قال: فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيّات تُرى من خارج بطونهم، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء أكلة الربا»[3].

ومن كل ما تقدم يتضح لنا عظم جرم أكل الربا وما أعد الله لأهله من عذاب في الآخرة بشرهم به في الدنيا، ونسأله تعالى العفو والعافية.

المطلب العاشر: الذين يقتلون النفس بغير حق

قتل النفس اعتداء بشع وإجرام فاحش، سواء قتل الإنسان نفسه أو قتل غيره بدون حق، والقتل من أكبر الكبائر التي يزينها الشيطان للإنسان، وهي أول جريمة وقعت على وجه الأرض، فقد قال الله تعالى عن ابني آدم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠]. وقد وعد الله من قتل نفساً مؤمنة تعمداً واعتداء أن يدخله جهنم خالداً فيها، فقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر: الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور»[4]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام جائر»[5].

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٨١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الترغيب والترهيب (٣/٩).
(٤) رواه النسائي (٧/باب ذكر الكبائر).
(٥) الترغيب والترهيب (٣/١٦٨).

وقال ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار، قيل: فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه»(١). أي إذا تواجه المسلمان بسيفيهما وقتل أحدهما الآخر فإن القاتل مستحق للعقاب في النار، وأما الآخر فإنه جزم على فعل المعصية فصار عاصياً. وقال الإمام أبو سليمان الخطابي (رحمه الله): «هذا إنما يكونان كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، وإنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو، فأما من قاتل أهل البغي على هذه الصفة التي يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذه لأنه مأمور بالقتال للذّبّ عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصاً على قتل صاحبه، ومن قاتل بغياً أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كفّ عنه ولم يتبعه، فإن الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة، فأما من خالف هذا النعت فهو الذي يدخل في هذا الحديث الذي ذكر، والله أعلم».(٢)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»(٣).

قال الإمام السّندي: «قوله: لقتل مؤمن أعظم عند الله... الخ. الكلام مسوق لتعظيم القتل وتهويل أمره وكيفية إفادة اللفظ هو أن الدنيا عظيمة في نفوس الخلق، فزوالها يكون عندهم عظيماً على قدر عظمتها، فإذا قيل: قتل المؤمن أعظم منه أو الزوال أهون من قتل المؤمن، يفيد الكلام من تعظيم القتل وتقبيحه وتشنيعه ما لا يحيطه الوصف»(٤).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(٥). وقال ابن عباس: سمعت نبيكم ﷺ يقول:

---

(١) رواه البخاري (٢٣/٦٦٥٦).
(٢) الكبائر ص ٢٣.
(٣) سنن النسائي (٧/كتاب تحريم الدم).
(٤) شرح الحديث (المرجع السابق).
(٥) الترغيب والترهيب (٣/٢٩٢).

«يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه - أي حاملاً رأسه بيده - متلبساً قاتله باليد الأخرى، تَشْخُب أوداجه دماً - أي تسيل عروقه دماً - حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني، فيقول الله عز وجل للقاتل: تعست، ويذهب به إلى النار»[1].

وقتل الإنسان نفسه يعتبر أيضاً قتلاً للنفس بغير الحق، فمصير المنتحر جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٣٠]. وقال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكيناً، فحزّ بها يده، فما رقا الدم حتى مات، قال تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة»[2].

أي كان في بني إسرائيل رجل به جرح، لم يصبر على ألمه فأخذ السكين فقطع يده بها، فلم ينقطع الدم حتى مات لفراغ الدم من بدنه بذلك الجرح. فقال الله تعالى: استعجل عبدي الموت لنفسه بنفسه، فحرّمت عليه الجنة وأدخل النار لأنه استحل ذلك.

وفي عذاب قاتل النفس بغير حق في جهنم، قال رسول الله ﷺ: «من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[3].

قال النووي في شرح صحيح مسلم: «إن المراد بالخلود طول المدة والإقامة لا حقيقة الدوام كما يقال: أخلد الله ملك السلطان، أو أن هذا جزاؤه، ولكن تكرم سبحانه فأخبر بأنه لا يخلد في النار من مات مسلماً. وقال في قوله ﷺ: «فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»: هو محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كفر وهذه عقوبته».

(١) الترغيب والترهيب (٣/٢٩٦).
(٢) الأحاديث القدسية (٢٩٩).
(٣) الترغيب والترهيب (٣/٣٠٠).

وقال رسول الله ﷺ: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يقتحم في النار»[1]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

قوله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ قال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد: إن أثاماً واد في جهنم جعله الله عقاباً للكفرة. وقال السدي: جبل فيها. ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ أي ذليلاً مبعداً مطروداً[2].

وقال النبي ﷺ: «يخرج عنق من النار يتكلم، فيقول: وكّلت بثلاثة: بكل جبار، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «يأتي المطروح يوم القيامة وله صوت مثل صوت الرعد وهو يستغيث أنا المظلوم ثم يتعلق بأمه، ويقول: يا رب اسأل هذه لم قتلتني؟ فيقول سبحانه وتعالى لأم المطروح: لم قتلتيه، أتظنين أني ما أرزقه؟ فإني قد حرّمت قتل النفس إلا بالحق، يا ملائكتي سلّموا هذه المرأة إلى مالك خازن النار يحبسها في جب الأحزان، فتستلمها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيضعون الطوق والسلسلة في عنقها يسحبونها على وجهها إلى النار، فيرميها مالك في جب الأحزان، وهو جب عميق في نار تسمى نار الآبار، إذا خمدت جنهم يفتح ذلك الجب فتتقد جهنم من حره، فيه سباع وذئاب وحيّات وعقارب تنهش المعذبين، وزبانية بأيديهم حِراب من نار تطعن القاتلين، فتبقى في ذلك الجب ألف سنة تعذبها حتى يقضي الله فيها

(١) الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٧٦، ٧٧/باختصار).

(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/٢١).

بما يشاء»[1]. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الحادي عشر: المتعمدون ترك الصلاة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي الصلة بين العبد وربه، كما أنها الفارق بين الإيمان والكفر، وهي فريضة فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وقد ذكرت الصلاة في القرآن الكريم ثلاثاً وثمانين مرة. والصلاة عقيدة وعبادة وسلوك، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصلاة لا تسقط عن المسلم إلا بالجنون أو الموت، أما من يتعمدون ترك الصلاة فإنهم يهدمون ركناً من أركان الإسلام، لذا استوجبوا أن يبشرهم الله بعذاب أليم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥]. أي غافلون عنها متهاونون بها. ويقول: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٩ - ٤٣]، وسقر هي إحدى دركات النار. وقد ربط القرآن بين ترك الصلاة والكذب على الله، وكلاهما مصيره جهنم، يقول تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]. قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: افترضت على أمتك خمس صلوات، وعهدت عني عهداً، أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي»[2].

وقد حذر الله من ترك الصلاة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]. قال المفسرون: «المراد بذكر الله هنا في هذه الآية، الصلوات الخمس»[3].

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ٢١١.

(٢) الأحاديث القدسية (١١٨).

(٣) الكبائر ص ٢٩.

وقال عبد الله بن مسعود: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات المفروضات»[١].

والصلاة هي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد بصلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»[٢]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف»[٣].

ومعلوم مصير هؤلاء جميعاً جهنم وبئس المصير، وقال بعض العلماء: «إنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته. فإن اشتغل بماله حشر مع قارون، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبيّ بن خلف تاجر الكفار بمكة»[٤].

وروى سعيد عن قتادة أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال: «يصلّون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا، ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، ولو صلاها قوم ثمود ما أخذتهم الصيحة»[٥].

وقد قيل إن في الصلاة اثني عشر خصلة، فمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الاثني عشر خصلة لتتم صلاته، فستة قبل الدخول في الصلاة وستة بعدها، أولها: العلم، والثاني: الوضوء، والثالث: اللباس، والرابع:

---

(١) تنبيه الغافلين ص ١٣٠.
(٢) الأحاديث القدسية (١٣٣).
(٣) رواه أحمد والطبراني (وانظر الكبائر ص ٣٠).
(٤) الكبائر ص ٣٠.
(٥) تنبيه الغافلين ص ١٣٦.

حفظ الوقت، والخامس: استقبال القبلة، والسادس: النية، والسابع التكبير، والثامن: القيام، والتاسع: القراءة، والعاشر: الركوع، والحادي عشر: السجود، والثاني عشر: القعدة. فإذا وجدت هذه الاثنتا عشر، يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص، لتتم هذه الأشياء لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء: أولها: أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس، والثاني: أن ترى التوفيق من الله تعالى، والثالث: أن تحفظها حتى تذهب بها مع نفسك يوم القيامة، لأن الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ولم يقل من عمل الحسنة[١].

وقيل أن: من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات: يرفع عنه ضيق العيش، وعذاب القبر، ويعطيه كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنة بغير حساب[٢]. ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشر عقوبة، خمس في الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث عند خروجه من القبر. فأما اللاتي في الدنيا، فالأولى ينزع البركة من عمره، والثانية: يمحي سيماء الصالحين من وجهه، والثالثة: كل عمل يعمله لا يؤجره الله عليه، والرابعة: لا يرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللاتي تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً، ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه. وأما اللاتي تصيبه في قبره، فالأولى: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، والثانية: يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً، والثالثة: يسلّط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع، عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم، يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس،

(١) تنبيه الغافلين ص ١٣٣ - ١٣٥ (باختصار).

(٢) الكبائر ص ٣٣.

وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح، فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً، فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة. وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة: فشدّة الحساب، وسخط الرب ودخول النار(١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد جنّهم وإنسهم والأمم جثياً صفوفاً فينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمّادون لله على كل حال فيقومون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦] فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، فيقومون فيسرحون إلى الجنة»(٢).

ومما جاء في عذاب المتعمدون ترك الصلاة في النار، قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٩ - ٤٣]. ثم قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

أي يوم القيامة حين يدخل أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، سأل أهل الجنة المجرمين فيقولون لهم: ما الذي أدخلكم سقر؟ - وهي إحدى دركات النار - فيقولون لهم: لم نك من المصلّين في الدنيا. وفي الآية

---

(١) الكبائر ص ٣٣.

(٢) تنبيه الغافلين ص ١٣١.

الأخرى تكلم عن عذابهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي إن المجرمين الذين أدخلوا سقر ولم يكونوا من المصلّين، في ضلال واحتراق وشدة الألم من عذاب الحريق ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي تأخذهم الملائكة بنواصيهم فتسحبهم في النار وتقول لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي ذوقوا ألم وعذاب سقر، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]. و﴿غَيًّا﴾ واد في جهنم أعده الله للذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

وقال النبي ﷺ: «إن في النار وادياً يقال له لملم، فيه حيات كل حية نحو رقبة الجمل طولها مسيرة شهر، تلسع تارك الصلاة في ذلك الوادي فيغلي سمها في جسده سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه وينقع عظمه، يعذبون تارك الصلاة في ذلك الوادي، وإن في جهنم وادياً يسمى جب الحزن فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسود له سبعون شوكة، في كل شوكة ذؤابة من سمّ تضرب تارك الصلاة ضربة وتفرغ سمها في جسده، فيجد حرارة سمّها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه على عظمه ويسيل من فرجه الصديد ويلعنه أهل النار»[(١)].

وقال ﷺ: «إن في جهنم وادياً تستغيث أهل النار من حره في كل يوم خمس مرات، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حره، يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والمطففون في المكيال وأهل بخس الميزان، فويل لمن باع الجنة التي عرضها السماوات والأرض بحبة أو حبتين »[(٢)]

وقال ﷺ: «إن تارك الصلاة يضاعف له العذاب، يحشر يوم القيامة وقد غلت يداه إلى عنقه، والملائكة يضربون وجهه ودبره وجنبه وتقول له الجنة: لست مني ولا أنا منك، وتقول له النار: أنا منك وأنت مني ومن

---

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٥٦.

(٢) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٣.

أهلي، أدنُ مني فوالله لأعذبنك عذاباً شديداً، فعند ذلك تفتح له نار جهنم فيدخل من بابها كالسهم المسرع، فيهوي على أم رأسه فيها إلى فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار»[١].

إن ما نراه من تهاون في إقامة الصلاة لهو نذير خطر كبير، فالكثير من أبناء الأمة لا يؤدون الصلاة وهاهي الملاعب والنوادي مكتظة بهم، فلم لا يكونون أيضاً من عمار مسجد الله؟ فيقيمون الصلاة وينجون من عذاب الله، ونسأله تعالى العفو والعافية.

المطلب الثاني عشر: المانعون للزكاة

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وقد ذكرها الله في القرآن الكريم مقرونة بالصلاة في اثنين وثمانين آية، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا وعروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه»[٢]. أي أن المشقة والجهد من الجوع والعري، لا يصيب الفقراء إلا بسبب بخل الأغنياء، فإذا أدى المسلمون زكاة أموالهم، فإننا لن نجد فقيراً جائعاً أو عرياناً. كما ينفق أيضاً من أموال الزكاة في الجهاد في سبيل الله، وكل طريق موصل إلى مرضاة الله من علم أو عمل.

والزكاة: هي أن يدفع المسلم اثنين ونصف بالمئة من ماله للفقراء في سبيل الله، وتجب الزكاة على المسلم الذي يملك «النصاب» الذي تجب فيه الزكاة.

والنصاب: هو ان يبلغ المال قدراً محدداً تجب فيه الزكاة، ويشترط في النصاب أن يكون فائضاً عن الحاجات الضرورية للإنسان، وأن يمر عليه عام هجري «أي يَحُول عليه حول كامل».

وقال الذهبي: «ولا تجب الزكاة على الحلى المباح إذا كان معدّاً

(١) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٥٤.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٣، ٢٤).

للاستعمال، فإن كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة، وتجب في قيمة عروض التجارة »[1].

ومنكر الزكاة كافر، ومانعها عاص لله، بشره النبي ﷺ بالنار فقال: «عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيه، وفقير فخور»[2]. وبشره الله أيضاً بالنار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١٠-١٢]. قوله: ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ أي للمال أن ينفق في وجوهه كالزكاة والصدقة. وقال أيضاً: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٣، ٢٤]. أي لا يحب المختالين الذين يبخلون. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفض نعتاً للمختال. وقيل رفع بابتداء، أي الذين يبخلون فالله غني عنهم. وقوله: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ قال زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله عز وجل. وقيل: إنه البخل بالصدقة والحقوق، قاله عامر بن عبد الله الأشعري. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿بِٱلۡبَخَلِ﴾ بفتحتين وهي لغة الأنصار. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ أي أن الله غني عنه وقرأ المدنيان وابن عامر بحذف ﴿هُوَ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقص قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القِطْر»[4]. أي بالقحط. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه

(١) الكبائر ص ٤٣.
(٢) الترغيب والترهيب (٣/١٧٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٥٩/باختصار وتصرف).
(٤) رواه الطبراني في الكبير (وانظر الكبائر ص ٤٤).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه، كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: امضِ، فقد أديت حق الله فيّ، قال: ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها، وماله بين كتفيه، كلما تكفأ فيه الصراط قال له ماله: ألا أديت حق الله فيّ؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور»[1].

ولقد أخبر الله تعالى عن حال موت من لم يؤدّ زكاة ماله، وما يتمناه عند موته فقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، يدل على وجوب تعجيل أداء الزكاة، ولا يجوز تأخيرها أصلاً. وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها. وقوله: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾، قال القرطبي: «سأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً»[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من كان له ما يبلّغه حج بيت ربه ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزكّ، سأل الرجعة عند الموت»، فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال ابن عباس: «سأتلوا عليك بذلك قرآناً»، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ - إلى قوله - خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: «إذا بلغ المال مائتين فصاعداً». قال: فما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة»[3].

قال ابن العربي: أخذ ابن عباس بعموم الآية في إنفاق الواجب خاصة دون النقل، فأما تفسيره بالزكاة فصحيح عموماً وتقديراً بالمائتين. وأما القول

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٠).

(٣) جامع الأصول (٢/٨٤٨).

في الحج ففيه إشكال...»[1].

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ﴾ أي هلاّ، فيكون استفهاماً. وقيل «لا» صلة، فيكون الكلام بمعنى التمني. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ نصب على جواب التمني بالفاء. ﴿وَأَكُونَ﴾ عطف على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ الباقون ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم عطفاً على موضع الفاء، لأن قوله ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لو لم تكن الفاء لكان مجزوماً، أي أصدّق. قال ابن عباس: هذه الآية أشد على أهل التوحيد، لأنه لا يتمنى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير في الآخرة[2]. وقال القرطبي: «إلا الشهيد فإنه يتمنى الرجوع حتى يقتل، لما يرى من الكرامة». ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر. وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء ﴿يعملونَ﴾ على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة[3].

ومما جاء في عذاب مانعي الزكاة في النار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[4]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ قال: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٠).
(٢) المرجع السابق.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٠/ باختصار).
(٤) رواه مسلم (٧/٦٧).

ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته»[1]. فإن قيل: لم خصّ الجباه والجُنوب والظهور بالكيّ؟ قيل: لأن البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره، فعوقب بكيّ هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]. أي لا يظننّ الذين أعطاهم الله من ماله وكنوزه فبخلوا بدفع زكاتهم وصدقات أموالهم أن ما يبخلون به سيكون لهم خيراً يوم القيامة، بل هو شر لهم، لأنه سيحمى على ما بخلوا به ليصير من نار فيوضع في أعناقهم، ويطوقون به في نار جهنم يوم القيامة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته، إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع - أي أفعى - له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه فيقول: أنا مالك أنا كنزك»[3] واللهزمتين هما عظمتين ناتئتين في اللحى تحت الحنك. وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من أحد ملك غنماً أو بقراً أو إبلاً فلم يزكّها، إلا جاءت يوم القيامة أقوى ما كانت في دار الدنيا لها قرون من نار فتنطحه بقرونها وتدوسه بأظفارها حتى تشقّ بطنه وتقصف ظهره وهو يستغيث فلا يغاث، ثم تصير سباعاً وذئاباً تعاقبه في النار»[4].

وقال بعض الوعّاظ:

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم، إنما في غد ثبورهم، ما نفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (وانظر الكبائر ص ٤٤).

(٢) الكبائر ص ٤٤.

(٣) نهاية البداية والنهاية (١٥٨/٢).

(٤) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ٢٠٥.

جباههم وجُنوبهم وظهورهم، ولو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم وقد ضجّ صبورهم، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم. ونسأل الله العفو والعافية.

المطلب الثالث عشر: جنود إبليس

لقد ظهرت في القرن الأخير جماعة من جنود إبليس الذين ذكرهم الله في كتابه قائلاً: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥]. لا بل إنهم عبدة له، يعتقدون أن لإبليس (لعنه الله) قوة عظيمة يستحق بها أن يعبد، ولولا ذلك ما استطاع أن يتحدى الله. وسنتحدث عنهم قليلاً مما ورد وعرف عن معتقداتهم الفاسدة وعبادتهم للّعين إبليس المطرود من رحمة الله.

في البدء كانت كلمة قالها إبليس رافضاً الإنصياع لأوامر الله تعالى، وواعد ربه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]. ومن البدء «كره» إبليس الإنسان فكانت الحرب بين الخير والشر: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٠].

منذ سنوات ونحن نسمع عن الموت الجماعي في كثير من البلدان، ففي عام ١٩٩٥ انتحر في سويسرا نحو ٥٠٠ شخص دفعة واحدة. وفي عام ١٩٩٦ قام صراع بين الشرطة الأميريكية وجماعة دينية يتزعمها «دايفيد قورش» (لعنه الله) الذي اختفى بعد ما احرق مقرّهم تماماً. وما نشر في جريدة الحياة في آذار ١٩٩٧ عن قيام انتحار جماعي لمجموعة من الأشخاص تتبع ديانة خاصة، وهذا الخبر هز الرأي العام في الولايات المتحدة وخارجها، ومن آخر بالمعلومات أنه منذ عام ١٩٩٦ حتى ١٩٩٧ انتحر في روسيا نحو ٣٦ شاباً دون ٢٥ سنة.

ولكن ما هز الرأي العام المسلم والعربي خاصة، خبر القبض على تنظيم للشباب في مصر يحمل اسم «عبدة الشيطان» يضم الكثير من أبناء العائلات ذوي المناصب العليا والمثقفين، إلخ...

وتتوالى أخبار انتحار الشباب، مما أثار فضول الناس الذين ذهلوا عندما اكتشفوا أن في لبنان معبداً لعباد الشيطان تابعاً لجماعات تعيش بصورة علنية في العديد من الدول الأوروبية وكذا الولايات المتحدة الأمريكية وفي بعض الدول العربية.

ويذكر أن حوالي ١٢٠ مكان بين بيت ومقهى وناد ليلي خاص بعباد الشيطان في لبنان، وقد ألقت القوى الأمنية القبض على عدد منهم إلا أن بعضاً منهم قد خرج بكفالة، وبعضاً ينتظر. كما ألقي القبض على أحد المعلمين الأجانب في إحدى المدارس كان يروّج هذه البدعة.

يبدأ سلوك هذه المجموعة بارتداء الألبسة السوداء الغريبة مثل السراويل المنتفخة والقمصان السوداء ذات الرسومات التي تمثل وجوهاً شيطانية عدوانية، متممة بقلادات وخواتم تحمل أشكالاً مختلفة مثل: جمجمة وعظام، صلبان معكوفة ومقلوبة، نجمة تحيطها دائرة في داخلها رأس ماعز. أما تسريحة الشعر، فإما أن تكون بإطلاق العِنان له - أي تركه طويلاً - أو ربطه أو حلقة تماماً بالموسى. وبالنسبة للّحية فإما أن تكون مُرسَلة أو محفوفة تماماً، دون أن ننسَ الوشم الأسود على الأجسام وتعليق الأقراط- أي دوائر حديدية - في الأنف والأذن، وعلى صدورهم قلادات حديدية تحمل نجمة سداسية. وتزيد الفتيات على هذا: المساحيق القاتمة الألوان مثل اللون الأسود القاتم على الشفاه وأظافر الأيدي والأرجل، يضاف إلى ذلك ما يحملونه من شارات من رقم 666 المعتقد أنه رمز شيطاني، وغيره...

ويكمل هذه اللوحة، الموسيقى الصاخبة التي تعلو من سيارات بعض الشباب المتسكع الذي يدور في الشوارع والطرقات في كل الأوقات، حتى أن بعضهم قد يبدأ نهاره الموسيقي منذ الساعة السادسة والنصف صباحاً. هذه الموسيقى تنبعث من مكبرات صوت خاصة للسيارات قد يصل سعرها إلى نحو ألف دولار أميركي...

تتألف هذه الموسيقى من كلام مبهم غير مفهوم، إلا إذا أديرت بشكل معاكس فتصير تعاويذاً تدعو إلى تكريس النفس للشيطان، وتسمح له

بالسيطرة على النفس، وهي موسيقى متطورة من الهاردروك. ومن الفرق: فرقة «ليدز يبلين» حين ترود في أغنيتها (الطريق إلى الجنة): «يجب أن أعيش للشيطان»، وفرقة. .K.I.S.S ويعني هذا الاسم «فرسان في خدمة الشيطان»، وفريق بلاك أدراس أركنساس حيث يغني: «الشيطان الشيطان هو الإله»، وللأسف يرددها شباب في بلادنا دون فهم إطارها العام، إذ إن ما يهمّهم لفت الأنظار لطبع شخصهم بالصورة الغربية، وهي الوجه الآخر لحالة الخروج من سيطرة الأهل.

تعتقد هذه الجماعة «عباد الشيطان» أن هذا الأخير «مظلوم» وقد طرد من الجنة ظلماً، إذ كيف له أن يخالف أمر المولى على الرغم من أنه لم يكن أصلاً مسموحاً له بهذا... لذا تأتي هذه النظرية من إنكار الذات الإلهية، باحتقار الدين «التقليدي» وبالتالي التمرد على المجتمع «التقليدي» بأعمال تخالف كل التقاليد وخاصة الأديان. ومن معتقداتهم أن الشيطان هو أخ المسيح ويجب الانقلاب على الأخير، لذا من شعاراتهم الصليب المقلوب، ومن شعاراتهم «مات المسيح، يحيى الشيطان». ولطالما كان الاختلاف بين الخير والشر على الإنسان، فهم يعتقدون أن في الذات الانسانية تكمن قوة الوجود، وأكبر طاقة بشرية في الإنسان هي عند الطفل الذكر المولود حديثاً، يحيث يضحّون به للشيطان على مذبح بطقوس خاصة، في غرفة سوداء بداخلها شموع. يذبح الطفل ويقطع إرباً، ويقدَّم جسده إلى الجموع بما فيهم أهل هذا الطفل. ويصل بهم الجنون إلى أنهم يقتاتون من رَوْث وبول هذا الطفل.

بدأت هذه المعتقدات تبرز علناً في الستينات من هذا القرن، حيث عم الأمان والسلام بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية في أجيال ما بعد الحرب. بدأ هذا المعتقد عبر المسيرة الطويلة لليهودية التي تعمل على تثقيل غير اليهودي بذنوب جمّة، تبعده بذلك عن دخول الفردوس يوم الحساب، بحيث يبقى - بزعمهم - اليهود هم أطهر جنس بشري. الخيال اليهودي هنا يلعب دوره، إذ اللافت للنظر هنا، أن كل جهود هذه البدع هي لتفريغ الفكر المسيحي ثم لاضمحلال هذا الدين حيث لا يبقى في الدنيا إلا

الحرب بين المسلم واليهودي. بدأت محاولتهم في أوائل هذا القرن، حينما دعا «أليسر كروالي» إلى ممارسة عبادات كانت تمارس في عصور ما قبل التاريخ مثل تقديم الضحايا للآلهة الشيطانية، ضحايا من البشر أو من الحيوانات حباً بالتغيير، بعد ما جربوا كل شيء ولم ينالوا من معبودهم أي شيء...

تبدأ هذه البدعة بالسيطرة أولاً على العائلة بأكملها حيث تصبح الفكرة مدار جدل وحديث مقنع بين كل الأفراد، ومن ثم عندما يولد جيل جديد في هذه العائلة ينمو في ظل هذه الأفكار السوداء، ومتى أصبح هذا الجيل واعياً ينطلق لنشر هذه الأفكار علناً. وغالباً ما تجد هذه البدعة ضالتها في المدارس والجامعات، كما تجد عند العائلات الراقية وغير المحتاجة ذوات بيئة«منفتحة»، بحيث ينجذب إليها الأطفال الفاشلين بتأثير الرغبة القوية بتلقي المساعدة للنجاح في الدراسة. تبع المحاولات الأولى إصدار كتب تدعو إلى الابتعاد عن المولى عز وجل والاعتماد على الشيطان. ولكن الشيطان لا يستطيع أن يحقق لهم شيئاً من أمانيهم لأنه لا يعد إلا بالفقر ولا يأمر إلا بالفحشاء، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أما الجنود فهم من علماء النفس والشعراء والملحنين، كي تتم صياغة الأسلوب الأمثل لجذب أكبر عدد ممكن. واستكملت هذه الكتب تطبيقات وقواعد علمية كتشييد بناء في الولايات المتحدة: «كنيسة الشيطان» التي طليت باللون الأسود فقط. وبسرعة نمت هذه الكنائس في الولايات المتحدة، ومنهم من اتخذ الغابات والأماكن الصحراوية البعيدة عن نظر الناس والقانون معابد لهم، واستعملوا العنف في مجابهة الناس، والتحرش بهم، وقتل كل من يعترضهم من بشر أو حيوان أو نبات[1]...

ولكن... إن أراد الإنسان محاربة الشيطان استطاع محاربته بالقرآن

---

(١) مجلة منبر الداعيات (عدد ٢٥/باختصار)

وباتباع أوامر الله، لأن الشيطان لا سلطان له على المؤمن كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠].

ولكنه يحاول قدر المستطاع أن يضل المؤمنين فيوسوس لهم في صدورهم ليقعوا في الكفر، فإذا استطاع أو يوقع مؤمناً في الكفر، فرّ منه وقال: إني أخاف الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. وقوله ﷺ: ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ لأن كلاهما كافر، والشيطان كاذب بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من ذا الذي يخاف الله ويوقع الناس في الكفر ويضلّهم عن سبيل الله. وقال القرطبي في تفسيره: وليس قول الشيطان: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حقيقة، إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان، فهو تأكيد لقوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾(١).

وأخبر الله تعالى في كتابه أن من تولى اللعين إبليس وكان من حزبه فإنه خاسر لا محال، ومصيره جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

المطلب الرابع عشر: إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً

تحدثنا عن بعض الكبائر التي بشر الله أصحابها بنار جهنم، ولكن الله بعباده رؤوف رحيم، فقد فتح الله باب التوبة لجميع العصاة، فمن ارتكب كبيرة ثم تاب إلى ربه توبة نصوحاً قبله الله وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وحقيقة التوبة كما ذكرها ابن القيم فقال: «هي الندم على ما سلف منه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤٢/١٨)

في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاود في المستقبل».

أولاً: الإقلاع عن المعصية.

ثانياً: الندم على فعل المعصية.

ثالثاً: العزم على أن لا يعود إليها، فإن كانت معصية تخص حق آدمي زادت ركناً رابعاً وهو:

رابعاً: التحلل من صاحب الحق، إن بردّه له أو مسامحة الآخر له، وهو ما يطلق عليه: «رد المظالم لأهلها».

وعلى ذلك فكل صاحب ذنب له فرصة التوبة، ولذا جاء الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

وعن عبيد بن عمير قال: «قال آدم (صلوات الله وسلامه عليه): يارب إنك سلطت عليّ إبليس ولا أستطيع أن أمتنع منه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت من يحفظه من مكر إبليس (عليه اللعنة) ومن قرناء السوء. قال: يا رب زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها، والسيئة بواحدة وأمحوها قال: يا رب زدني، قال: التوبة مقبولة ما دامت الروح في الجسد. قال: يا رب زدني، قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾»[١] [الزمر: ٥٣].

وقال بعض الحكماء: «حرفة العارف ستة أشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا همّ بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر»[٢].

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٤٦.

(٢) تنبيه الغافلين ص ٤٨.

وعن الزهري قال: «دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ قال: يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: يا عمر أدخله عليّ؟ قال: فدخل وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا شاب؟ قال: يا رسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي، فقال رسول الله ﷺ: أشركت بالله شيئاً يا شاب؟ قال: لا، قال: أقتلت نفساً بغير حق؟ قال: لا قال: فإن الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي. قال: يا رسول الله ذنبي أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي، فقال رسول الله ﷺ: ذنبك أعظم أم الكرسي؟ قال ذنبي أعظم. قال: ذنبك أعظم أم العرش؟ قال: ذنبي أعظم. قال: ذنبك أعظم أم إلهك؟ يعني عفو الله. قال: بل الله أعظم وأجل. قال: فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الله العظيم. يعني العظيم التجاوز. قال أخبرني عن ذنبك. قال يا رسول الله: إني كنت رجلاً نبّاشاً أنبش القبور منذ سبع سنين، حتى ماتت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها فأخرجتها من كفنها، فمضيت غير بعيد إذ غلب الشيطان على نفسي فرجعت فجامعتها، فمضيت غير بعيد إذ قامت الجارية وقالت: ويلك أما تستحي من ديان يوم الدين يضع كرسيه للقضاء ويأخذ للمظلوم من الظالم، تركتني عريانة في عسكر الموتى أوقفتني جُنباً بني يدي الله عز وجل. فوثب رسول الله ﷺ وهو يدفع قفاه وهو يقول: يا فاسق ما أحوجك إلى النار، أخرج عني. فخرج الشاب تائباً إلى الله تعالى أربعين ليلة، فلما تم له أربعين ليلة رفع رأسه إلى السماء فقال: يا إله محمد وآدم وحواء إن كنت غفرت لي فأعلم محمداً وأصحابه وإلا فأرسل ناراً من السماء فأحرقني ونجني من عذاب الآخرة. قال فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام، فقال: هو السلام وإليه يرجع السلام، قال: يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق؟ قال: بل هو الذي خلقني وخلقهم، قال: يقول: أنت ترزقهم؟ قال: بل الله يرزقهم وإياي، قال: يقول: أنت تتوب عليهم؟ قال: بل الله يتوب عليّ وعليهم، قال:

يقول الله تعالى: تُب على عبدي فإني تبتُ عليه، فدعا النبي ﷺ الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه»[١].

قال الفقيه السمرقندي (رحمه الله): «ينبغي للعاقل أن يعتبر بهذا الخبر ويعلم بأن الزنى مع الحي أعظم ذنباً من الزنى مع الميت، وينبغي أن يتوب توبة حقيقة لأن الشاب لما علم الله تعالى أن توبته حقيقية تجاوز عنه، وينبغي أن تكون التوبة على قدر الذنب. ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]. قال التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإضمار أن لا يعود إليه أبداً»[٢].

ويخبر الله تبارك وتعالى عن حبّه لمن تاب إليه حق توبة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فانظر إلى رحمة الله تعالى على من تاب وعمل صالحاً يكرمه ربه بأن يغفر له ذنوبه وأن يبدّل رصيده من السيئات إلى الحسنات، وإن الله ليفرح بتوبة العبد أشد من فرح الأم بولدها.

من هنا نعلم أن شارب الخمر والمنافق والمتكبر والظالم والمشرك ومن ذكروا في هذا المبحث إن طبقوا شروط التوبة بشروا بالجنة بدلاً من النار، وأدخلوا الجنة يوم القيامة بدلاً من النار، وبدّل الله سيئاتهم حسنات وكانوا مع الأبرار، وتركوا طريق الفجار، قال الشاعر:

التوبةُ إلى الله قريبٌ من كلِّ ... من اقترفَ ذنباً من المذنبينَ
فتُب من ذنوبك إلى الله الرحمنِ ... الرحيم الذي يغفرُ ذنب التائبينَ
ولا تَعُد إلى ذنوبكَ مرةً أخرى ... لتكونَ يومَ القيامةِ من الفائزينَ

ونسأل الله أن يجعلنا من التوابين ومن المتطهرين ومن الذي يبدل سيئاتهم حسنات ويعفو عنهم ويدخلهم يوم القيامة جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٤٨.

(٢) تنبيه الغافلين ص ٤٩.

المبحث الثالث: المبشّرون بالنار «ولا توبة لهم»

المطلب الأول: هؤلاء هم وقود النار

هؤلاء الذين سيذكرون بأسمائهم مبشرين بالنار، قد تحقق فيهم أنهم وقودها، ذلك لأنه توافرت فيهم صفات الخلود في نار جهنم، وهي:

١- أنهم كفار بالله «بدينه بتوحيده وأسمائه وصفاته ونعمه».

٢- أنهم معاندون للحق بجحودهم وعنادهم.

٣- أنهم مانعون للخير يسعون للشر، ويفسدون في الأرض.

٤- أنهم معتدون على الناس «أهل ظلم».

٥- أنهم أصحاب الشك والريبة لا يصدقون الحقائق.

٦- أنهم مع كل ذلك مشركون بالله اتخذوا معه إلها آخر يعبدونه من دون الله.

وهم بتلك الصفات لا يستحقون رحمة الله ولا يدخلون في رضوانه، إنهم وقود النار، أعوان إبليس (لعنة الله عليه)، وهو قائدهم في الدنيا وزعيمهم في النار يوم القيامة ومع هذا كله فقد صدر فيهم دستور إلهي وهو القرآن الكريم بدخولهم في نار جهنم.

المطلب الثاني: إبليس زعيم أهل النار

إن الله تبارك وتعالى خلق الجن من نار السَّموم وعمّر بهم الأرض، وكان إبليس أبو الجن على رأسهم في بداية الأمر، وكان منهم المؤمن ومنهم الكافر.

ثم توجهت المشيئة الإلهية إلى أن تعمّر الأرض ويجعل فيها لله خليفة، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وهنا تحركت أشواق الملائكة إلى الخلافة في الأرض: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قدموا أنفسهم للخلافة، فقال الله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا

﴿تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. أي أنا أعلم من هو أحق بالخلافة لا أنتم.

ثم خلق الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطاه شيئاً فضّله به على الملائكة فقال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. قال ابن عباس: «هي هذه الأسماء التي يتعارف الناس بها إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وبحر وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وقال مجاهد: علّمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء. وقال الربيع: علّمه أسماء الملائكة[1]. فقالت الملائكة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

فأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم، وكان هذا السجود سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة، فقال: ﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. وهذا الأمر كان للملائكة، قال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين. قال أبو يعلى: فإن قيل، فقد قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]. قال: قيل هذا إخبار عما كان مستتراً فيه من معصية الله عز وجل ومخالفة أمره، لأن اشتقاق الجن من الاستتار ومنه قوله في الجنين جنين لاستتاره في بطن أمه[2].

إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وبما أن إبليس كان أبا الجن وأكثرهم عبادة لله، فإن الله تعالى جعله في صف الملائكة، ودليل قولي قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ [ص: ٧٣، ٧٤]. فقوله: ﴿أَجۡمَعُونَ﴾: أي جميع الملائكة، إلا إبليس الذي هو من الجن استكبر وكان من الكافرين. ودليل آخر على أنه لم يكن ملكاً، أن الملائكة خلقوا من نور وإبليس خلق من نار السَّموم. وأيضاً عصيانه لأمر الله، والملائكة لا تعصي الله أبداً كما قال عنهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وأما احتجاج البعض على أن هاروت وماروت كانا من الملائكة وعصيا الله

---

(١) آكام المرجان ((٦٠٤-٦٠٧)/ بتصرف).

(٢) آكام المرجان (٤٣٦).

تعالى، فيجوز أنهما كانا ملكين، وحينما أراد الله ينزلهما إلى الأرض، حوّلهما عن خلقهما الملائكي فصارا من البشر، فتملكتهما الشهوة البشرية فعصيا ربهما، والله اعلم.

فعندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، سجدوا جميعاً إلا إبليس، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧٣، ٧٤]. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أنف من السجود جهلاً بأن السجود له طاعة الله، والأنفة عن طاعة الله استكباراً كفر، ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن أمر الله تعالى[١].

وحتى يعطي الله الفرصة لإبليس لتصحيح خطئه والعدول عن معصيته قبل أن تصبّ عليه اللعنة ويطرد من رحمة الله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]. قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ هو آدم، وهو كيان عن تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام. وقوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي عن السجود ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي المتكبرين على ربك. وقرأ ابن كثير وأهل مكة ﴿بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ﴾ موصولة الألف على الخبر، وتكون أم منقطعة بمعنى بل - ومن استفهم فأم معادلة لهمزة الاستفهام وهو تقريع وتوبيخ. أي أستكبرت بنفسك حتى أبَيْتَ عن السجود لآدم، أم كنت من القوم الذين يتكبرون هكذا[٢]. فأجابه إبليس بحماقة وتكبر: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]. قدّم نفسه على آدم بأنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، ظنّاً منه أن النار شأنها الصعود والارتقاء، وشأن الطين الثبات في الأرض.

واعلم أن هذه الشبهة التي ذكرها إبليس إنما ذكرها على سبيل التعنّت، وإلا فامتناعه عن السجود لآدم إنما كان عن كبر وكفر ومجرد إباء وحسد، ومع ذلك فما أبداه من الشبهة فهو داحض لأنه رتب على ذلك أنه لا يحسن الخضوع لمن دونه ومن هو خير منه، وهذا باطل من وجوه عدة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٧).

(٢) آكام المرجان (الباب السادس والثمانون ص ١٩٣، ١٩٤/بتصرف).

على سبيل المثال: أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به بخلاف التراب. وأن النار طبعها الخفّة والطيش، والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات. وأن التراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان وأقواتهم ولباس العباد وزينتهم وآلات معايشهم ومساكنهم، والنار لا يكون فيها شيء من ذلك. وأن المادة الإبليسية هي المارج من نار وهو ضعيف تتلاعب به الأهوية فيميل معها كيفما مالت ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره، ولما كانت المادية الآدمية هي التراب وهو قوي لا يذهب مع الهواء أينما ذهب، قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه. وأن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض، فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه الأشياء فهي تابعة لها خادمة فقط، إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه[1].

فحين استكبر وأظهر حقده وقدّم نفسه بالخيرة على آدم، قال الله له: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٧، ٧٨]. وفي آية أخرى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣]. قوله: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ يعني من الجنة، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ أي مرجوم بالكواكب والشهب، ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ أي طردي وإبعادي عن رحمتي، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تعريف بإصراره على الكفر لأن اللعن منقطع حينئذ، ثم بدخوله النار يظهر حقيقة اللعن[2]. ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٧٩-٨١]. طلب إبليس من الله أن يؤخره إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أي المؤخرين ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾[3]..

سأل سائل عن إبليس فقال: إن إبليس طلب من الله أن يجعله من المنظرين،

(١) آكام المرجان (الباب السادس والثمانون ص ١٩٣، ١٩٤/بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٩).
(٣) المرجع السابق (بتصرف).

فكيف أجاب الله سؤل هذا العاصي الكافر؟ إن إبليس لو لم يسأل الله أن يجعله من المنظرين، لكان الله قال له: إنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم، والدليل أن الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٨]. والدليل أنه لن يموت إلا إلى يوم الدين لما كانت اللعنة عليه إلى يوم الدين، أي لو لم يرد الله أن ينظره إلى يوم الدين لما قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾، لكان قال له: وإن عليك لعنتي إلى أن تموت مثلاً أو إلى انتهاء أجلك على سبيل المثال، والله أعلم. فلما علم اللعين أنه من الرحمة مطرود وأنه منظر ليوم البعث، أراد أن يفسد الإنسان حقداً عليه ومحاولة منه أن يجعله من أهل جهنم مثله، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] لمّا طرده بسبب آدم، حلف بعزة الله أن يضل بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشبه عليهم، فمعنى ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: لأستدعينهم إلى المعاصي، وقد علم أنه لا يصل إلا إلى الوسوسة، ولا يفسد إلا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه، ولهذا قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي الذين أخلصتهم وعصمتهم مني[(١)].

فبشره الله وأتباعه بأن جهنم تنتظرهم، والنار في شوق إليهم: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤-٨٥]. وقرأ أهل الحرمين وأهل البصرة والكسائي وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بنصب ﴿فَالْحَقَّ﴾ وقرأ الباقون برفع الأول ﴿فَٱلْحَقُّ﴾، ولا اختلاف في الثاني في أنه منصوب بـ﴿أَقُولُ﴾. وقيل: هو بمعنى أحق الحق أي أفعله. قال أبو علي: الحق الأول منصوب بفعل مضمر أي يحقّ الله الحق، أو على القسم وحذف حرف الجر، كما تقول: اللهِ لأفعلنّ، ومجازه: قال فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه[(٢)].

من هنا تربص إبليس ببني آدم يقف لهم بكل طريق فيه خير ليصدّهم عنه، يقول رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دين آبائك، قال فعصاه وأسلم. قال: وقعد له بطريق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٣٠/ باختصار).

الهجرة، فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول، فعصاه وهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال، فقال: تقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسّم المال، قال فعصاه وجاهد»[1].

وجاء تحذير إلهي في القرآن الكريم لبني آدم من ألاعيب ومكر وخداع إبليس ليتيقظ البشر لحيله، ويستعيذون بالله القوي على كيده الضعيف، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

وإبليس (لعنه الله) يغرر الإنسان ويزيّن له عمله ويشجعه ويمنّيه، حتى إذا جاء يوم الفصل تخلى عنه وأعلن الإيمان بالله، وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال الشاعر:

إني بليتُ بأربعٍ يرمينني ... بالنبل عن قوسٍ لها توتيرُ
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا ربّ أنت على الخلاص قديرُ

وها هو إبليس يقود أتباعه من شياطين الجن والإنس، لنشر البدع وإيقاظ الفتن وإشعال نار الغضب والدخول إلى قلوب العباد من أكثر من باب، حتى يوقعهم في الكفر في الدنيا ويتبرأ منهم في الآخرة: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

---

(١) رواه أحمد عن أبي الفاكهة (جزء من حديث).

وما كان حقد إبليس لينتهي عند إخراج آدم وحواء من الجنة، بل امتد هذا الحقد للأبناء والأحفاد، وأصبح لإبليس حزب يعاونونه في تهوين المعاصي واستصغار الذنوب وتأخير التوبة ونسيان ذكر الله والتسويف في الأوامر والنواهي الإلهية، وقد وصف الله إبليس بأنه العدو، يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

ولقد أخبر الرسول ﷺ عن عذاب إبليس فقال: «أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده، وذريته من بعده أو من خلفه، وهو ينادي يا ثبوراه، وينادون يا ثبورهم، فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان، ١٤]»[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من تخبّط الشيطان عند الوفاة - يقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهرم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً»[(٢)].

لقد فسدت حياة إبليس (لعنة الله) بتكبره وعناده، وصبّت عليه اللعنة باستعلائه وعرف مسبقاً - قبل نزوله إلى الأرض - أنه من الهالكين، ولذا فهو يحاول أن يكثر من أعوانه ليكونوا معه في السعير، وليخرج أكبر عدد ممكن من طريق الأبرار إلى طريق الفجار، وهو يعلم أن مأواه ومأواهم النار.

المطلب الثالث: رجال ممن بشّروا بالنار

لقد أخبر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن رجال مضوا في التاريخ، كان مصيرهم ومصير أمثالهم النار، لإشراكهم وكفرهم وعصيانهم لربهم عز وجل ومؤاذاتهم لأنبيائه.

فأول جريمة في التاريخ، وتمثل القضية - قتل قابيل أخيه هابيل -

(١) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٢).

(٢) رواه النسائي (٨/٢٨٢).

أول صراع يقع بين البشر على وجه الأرض، وفي ملف القضية:

* الجريمة: قتل عمد.
* القاتل: قابيل بن آدم.
* جزاؤه: جهنم وبئس المصير.
* المقتول: هابيل بن آدم.
* الدافع للجريمة: الحقد والحسد.
* رقم القضية: الأولى على وجه الأرض.

عرضت القضية في سورة المائدة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠].

وبعد أحقاب من الزمن، بعد موت آدم عليه السلام وبعد أن كثر المؤمنون بالله وانتشر الخير في الأرض، ضل الناس من جديد فعبدوا الأصنام وكفروا بالله الواحد الأحد، فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام ليدعوهم إلى أن يؤمنوا بالله الواحد القهار، فلم يزدهم دعاء سيدنا نوحاً عليه السلام إلا فراراً، فعصوه ولم يستجيبوا لدعوته، وظل بينهم يدعوهم لدين الله، فيتواصون باتهامه الكذب، ويوصون أبناءهم بتكذيبه، وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً من دعوة نوح عليه السلام لقومه، يئس نوح من قومه، فأمره الله أن يصنع سفينة قرب منزله ليحمله الله فيها ومن آمن معه ويغرق الكافرين، حتى زوجته كانت من الكافرين وابنه كنعان الذي يعلن كفره ويعاضد الكافرين.

ومن أن تمّت السفينة، وليس في القوم أمل في الإيمان، نادى نوح ربه أن ينصره ويهلك الكافرين: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠ -

١٤]. فلما أتى أمر الله بانهمار الماء من السماء وتفجير الأرض عيوناً، نظر نوح إلى المؤمنين وهو حريص على نجاتهم معه في السفينة، ورأى نوح ابنه «كنعان» يقف متنحياً فناداه لعله يؤمن بعد أن رأى الآيات أمام عينيه والماء يعمّ الأرض والكافرون يغرقون: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. ولكن كنعان خسر الدنيا والآخرة وردّ بغرور على أبيه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

وعلى ذلك تأكد أن ابن نوح من الكافرين وأنه ومن كفر في نار جهنم يصطلون بحّرها ويذوقون عذابها.

وبعد أن عمّت الأرض بالإيمان وكثر المؤمنون في الأرض بعد أن غرق الكافرون، مات سيدنا نوح عليه السلام فضلّ بعض البشر وأخذوا يتكاثرون حتى عم الفساد في الأرض مرة أخرى، فبعث الله للناس رسولاً اسمه إبراهيم عليه السلام ليدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وكان في زمنه حاكم ظالم، جار على البشر وجعل نفسه إلهاً للناس.

وكان إبراهيم عليه السلام يحمل لواء دعوة التوحيد ويجوب بها الأرض، فلما سمع عن هذا الملك الذي يدعي الألوهية وينازع الله في إزار العظمة ورداء الكبرياء، توجه إليه إبراهيم ليقف على حقيقة أمره، فلما أتاه دعاه إلى عبادة الله وحده، ولكن الملك تنكر لنعم الله، بل أنكر الصانع العلي القدير معلناً أنه إله، ومقدرته بما بمقدرة إله إبراهيم، وحاجّ إبراهيم في ذلك: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فلما لم يجد إبراهيم للدعوة إليه سبيل أقام له الدليل، فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وقد بلغ حمق وجهل هذا الملك المغرور أنه أتى برجلين تحتّم قتلهما بصدور حكمه ضدهما وهما ينتظران القتل، فيقتل أحدهما ويعفو عن الآخر، ويقول: قد أحييت هذا وأمتُّ الآخر، وبالطبع هذا ليس المعنى الحقيقي للموت والحياة، فهو ملك جهول فسر الحياة والموت حسب ما أملاه عليه هواه

وقاده إليه شيطانه، فلما رأى الخليل منه ذلك، أقام إبراهيم عليه حجة أخرى هي دليل على وجود الله الخالق: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وهذا تحدّ واضح جليّ يشهده الناس وهم ينظرون قوة المدعي الكذاب الذي تخلخلت قواه، فما عساه يقول، تكلم قليلاً ثم صمت كثيراً، وظهر عليه الخزي وباء بالهزيمة والقوم منه يسخرون، يا ويله من ضعف متكبر: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وبعد هذا الملك الأحمق الجاهل، ظهر ملك آخر، إنه فرعون قائد الطغاة وزعيم العصاة.

اعتلى «فرعون» عرش مصر ملك كبقية الملوك السابقين عليه، فلما استتبت الأمور وكثرت النعم وعاش فرعون ومن معه مترفين مرفّهين قست قلوبهم، ونسي الملك أن للكون إله خالقه، وأخذه الغرور، فعلا وتكبر ونادى في الناس: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]. صدقه المنافقون فازداد تكبراً وغروراً واستمر في دعواه وافتراءه، ولكن القلة من العقلاء سألوه: كيف تكون إلهاً وأنت مثلنا تأكل وتشرب وتتبرز؟ فأجابهم الأحمق: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]. وعذّب كل معترض وعاث في الأرض فساداً، وفتح أبواب السجون للخارجين عليه بدون حساب، وأوقع بالناس التنكيل والتعذيب، كل هذا من أجل كبريائه وعناده وغروره.

وهنا أرسل الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون لعله يتّعظ أو يتذكر فيرجع إلى صوابه، ولكن هيهات لمن تكبر وقسى قلبه وعميَت بصيرته، وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف في أسلوب رائع بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦-٥٦].

وهكذا تنتهي حياة هذا الطاغية ويخرج الله جسده عبرة للآخرين وحكمة من الله لعباده لعلهم يعتبرون.

وكان لتمادي آل فرعون في كفرهم وغيّهم أثر سيء أحاق بهم، فكان الغرق في الدنيا والحرق بالنار في الآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وفي زمن النبي محمد ﷺ كان عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ الملقب بأبي لهب من أعدى أعدائه. فبعد أن أمر الله نبيّه ﷺ بتبليغ عشيرته، أنزل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٦].

وبدأ رسول الله ﷺ ينفذ أمر ربه بالجهر بالدعوة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. فصعد على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عديّ»، لبطون قريش، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً، فقال ﷺ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله في شأنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ

﴿مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾ [سورة المسد][1].

وهكذا كان مصير هذا المكابر العنيد في الآخرة نار جهنم ذات اللهب، سيصلاها هو وزوجته.

المطلب الرابع: نساء ممن بشّرن بالنار

لقد أخبر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن نساء بشّرهن الله بنار جهنم لكفرهن واتباعهن الضلال وأذيتهن لأنبيائه ورسله (صلوات الله عليهم أجمعين)، فمنهن من كن زوجات لأنبياء صالحين، ومنهن من آذين الرسل.

فحينما أرسل الله رسوله نوح عليه السلام كانت زوجته من الكافرين، وكذلك لوط عليه السلام، وقد أخبر الله عنهما في كتابه الكريم، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وقد ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين. وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة، قاله مقاتل. وقال الضحاك عن عائشة (رضي الله عنها): إن جبريل نزل النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط والهة[2].

قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال عكرمة والضحاك: بالكفر وقال سليمان بن رقية عن ابن عباس: بأضيافه. وعنه: ما بغت امرأة نبي قط - وهذا إجماع من المفسرين فيما ذكره القشيري - إنما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل: كانتا منافقتين. وقيل خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما شيئاً أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك. وقيل: كانت امرأة لوط لو نزل به ضيف دخّنت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف، لما كانوا من إتيان الرجال

---

(١) نور اليقين ص ٣٥، ٣٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/١٨).

قوله ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما - لما عصتا - شيئاً من عذاب الله، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة. ويقال: إن كفار مكة استهزءوا وقالوا: إن محمداً يشفع لنا، فبيّن الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفار مكة وإن كانوا أقرباء، كما لا تنفع شفاعة نوح لامرأته وشفاعة لوط لامرأته مع قربهما لهما لكفرهما. وقيل لهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ في الآخرة كما يقال لكفار مكة وغيرهم[1].

وفي زمن النبي ﷺ نزلت آية بامرأة كانت تؤذي النبي ﷺ، ألا وهي زوجة عمه أبي لهب، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [سورة المسد]. وامرأته اسمها أم جميل. وقال ابن العربي: العوراء أم قبيح وكانت عوراء[2]. وقال ابن عباس وغيره: كانت تمشي بالنمينة بين الناس، تقول العرب: فلان يحطب على فلان: إذا ورّش عليه[3]. وقال قتادة وغيره: كانت تعيّر رسول الله ﷺ بالفقر. وقال ابن زيد والضحاك: كانت تحمل العِضاه والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبي ﷺ وأصحابه، وقال الربيع: كان النبي ﷺ يطؤه كما يطؤ الحرير. وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا والذنوب، من قولهم: فلان يحتطب على ظهره، دليله قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١][4].

وأما مصيرها يوم القيامة فهي مع زوجها في جهنم يصليان حرها. ويضع الله لها في عنقها سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً، وتسحب على وجهها في جهنم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٠١، ٢٠٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٤٠/ باختصار).

المطلب الخامس: الذين يأخذون صحائفهم بشمائلهم

إن الله عز وجل جعل لكل إنسان ملكين ليكتبا أعماله، فأحدهما يكتب أعماله الحسنة والآخر يكتب أعماله السيئة ليحاسب عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨]. ثم يجعل له كتاباً يحصي أعماله الحسنة والسيئة، ولا يترك الكتبة الصغيرة ولا الكبيرة إلا كتبوها في صحيفة صاحبها، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

فإذا كان الرجل رأساً في الشرّ، يدعوا إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه، نودي باسمه واسم أبيه فيتقدم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرأها ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: «هذه حسناتك قد ردّت عليك» فيسودّ وجهه، ويعلوه الحزن ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك» أي يضاعف عليه العذاب وليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل. فيعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه، ويكسى سرابيل القطران ويقال له: انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فينطلق وهو يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧] يتمنى الموت[١].

ثم يؤمر به إلى الجحيم، فيقول الله للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣٠،٣١]. فيجعل مع أصحاب الشمال في الحميم، في جبل يقال له يحموم، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٧١).

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٣]. وسمّاهم أصحاب الشمال لأنهم يأخذون صحائفهم بشمائلهم. ويقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢]. نزلت هذه الآية في الأسود بن عبد الأسد أخي أبي سلمة، قاله ابن عباس. ثم هي عامة في كل مؤمن وكافر. قال ابن عباس يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه، فيجذبه ملك فيخلع يمينه، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال قتادة ومقاتل: يفكّ ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره، فيأخذ كتابه بذلك[1]. ويدعو على نفسه بالهلاك فيقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، ويدخل النار حتى يصلى بحرّها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١]. قال: «يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمّد له في جسمه ستون ذراعاً. ويبيضّ وجهه ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا هذا، حتى يأتيهم فيقول لهم: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا. قال: وأما الكافر فيسودّ وجهه، ويُمد له في جسمه ستون ذراعاً في صورة آدم، ويلبس تاجاً من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شرّ هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا»[2]. اللهم إنا نسألك أن نأخذ صحائفنا بأيماننا.

المطلب السادس: من خفّت موازينهم يوم القيامة

إن الله تبارك وتعالى يضع الميزان بالحق يوم القيامة ليميز عباده من يثقل ميزانه بالحسنات عمن يثقل ميزانه بالسيئات، ولكل منهما مصيره، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٢٧٢).

(٢) الترغيب والترهيب (٤/٤٨٥).

يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان. قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد[1]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. والموازين جمع ميزان. فقيل: إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزاناً توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفّة والسيئات في كفّة، وقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله. ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبّر عنه بلفظ الجمع. وعن أنس يرفعه: «إن ملكاً موكلاً بالميزان، فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان، فإن رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفّ نادى الملك، شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً». وخرج عن حذيفة ﷺ قال: «صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ»[2].

والموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخفّ. وقد روي في الخبر ما يحقق ذلك، وهو أنه روي: «أن ميزان بعض بني آدم كاد يخفّ بالحسنات فيوضع فيه رقّ مكتوب فيه: لا إله إلا الله، فيثقل». فقد علم أن ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه من الأعمال لا نفس الأعمال، وأن الله سبحانه يخفف الميزان إذا أراد، ويثقله إذا أراد لما يوضع في كفتيه من الصحف التي فيها الأعمال[3].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجلّ مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة، فيهابُ الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٧).

عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلاّت! فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلاّت في كفّة والبطاقة في كفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[1]. وزاد الترمذي: «فلا يثقل مع اسم الله شيء». وقال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسانان وكفّتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف:٨]، ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفه الميزان فيخفّ وزنه حتى يقع في النار»[3].

وأما منزل من ثقل ميزانه بالسيئات وخفّ من الحسنات ففي الهاوية، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨-١١]. أي ومن خفت حسناته على سيئاته وثقلت سيئاته على حسناته فهو في الهاوية، وهي أبعد النار قعراً، وسميت أمّاً لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه. ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ أي أيُّ شيء أعلمك ما هي؟ ثم فسّر حالها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ أي شديدة الحرارة[4]. اللهم إنا نسألك أن تجعل موازيننا تثقل بالحسنات يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ كتاب الزهد/٤٣٠٠).
(٢) رواه مسلم (١٩/١٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦٦/٧).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦٧/٢٠/ بتصرف).

الفصل الخامس

أهل النار وحياتهم

المبحث الأول: ملائكة العذاب

المطلب الأول: مالك خازن النار

إن للنار خزنة موكلين بها وهم الزبانية، ومقدمتهم تسعة عشر، وخازنها مالك، وهو مقدَّم على جميع الخزنة، وقد ذكره الله في القرآن الكريم باسمه فقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧]. قال القرطبي: هو خازن جهنم، خلقه لغضبه، إذا زجر النار زجرة أكل بعضها بعضاً. وقرأ علي وابن مسعود (رضي الله عنهما): ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِ﴾ وذلك خلاف المصحف. وقال أبو الدرداء وابن مسعود: قرأ النبي ﷺ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِ﴾ باللام خاصة، يعني رخم الاسم وحذف الكاف. والترخيم الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر، فتقول في مالك: يا مالِ[1]. قال أبو بكر: لا يعمل على هذا الحديث لأنه مقطوع لا يقبل مثله في الرواية عن رسول الله ﷺ، وكتاب الله أحق بأن يحتاط له وينفى عنه الباطل. قال القرطبي: وفي صحيح البخاري عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١٦).

رَبُّكَ﴾ بإثبات الكاف[1].

وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى مالكاً في المعراج، فقال: «ورأيت مالكاً خازن النار»[2]. وقال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني قالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار وأنا جبريل وهذا ميكائيل»[3].

وعن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «رُئِيَ عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي يبكي، فقيل له، فقال: من ههنا حدثنا رسول الله ﷺ أنه رأى مالكاً يقلّب جمراً كالقَطْف»[4]. وقال محمد بن كعب القرظي: «إن لِمالِك مجلساً في وسط جهنم، وجسوراً تمرّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها»[5]. وقال مقاتل: «يضرب مالك خازن النار ضربة على رأس أبي جهل بمقمع من حديد، فيتفتت رأسه عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصبّ الملَك فيه ماءً حميماً قد انتهى حرّه فيقع في بطنه، فيقول الملَك: ذق العذاب»[6].

المطلب الثاني: الزبانية

الملائكة عالم غير الإنس والجن، عالم عباد مكرمون، لكل منهم عمله، فمنهم رسل الله إلى الأنبياء ومنهم الحفظة ومنهم الكتبة... ومنهم الملائكة الموكلون بالنار وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدَّم على جميع الخزنة - كما مرّ. وهم المذكورون باسمهم في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨]. قال الكسائي وابن عباس وغيرهما: واحدهم زِبْنيّ. وقال الأخفش: زابن. وقال أبو عبيدة: زبنية.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١٧).

(٢) رواه البخاري (١٣/٣٠٣٠/طرف من الحديث).

(٣) رواه البخاري (١٣/٣٠٢٧).

(٤) سنن الأوزاعي (كتاب الملائكة/٢٠٠٩).

(٥) التذكرة ص ٤٧٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٥٠، ١٥١).

وقيل: زبانيّ. وقيل هو اسم للجمع، كالأبابيل. وقال قتادة: هم الشُّرط في كلام العرب. وهو مأخوذ من الزبن وهو الدفع. وقيل: إنما سمّوا الزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم حكاه أبو الليث السمرقندي (رحمه الله)(١). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٤٩]. وخزنة جمع خازن، ويقال خزّان وخُزَّن(٢).

وأما عددهم فقد أخبر الله عنه بقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠]. وقرأ أبو جعفر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عْشَرَ﴾ بإسكان العين لتوالي الحركات(٣).

أي على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك وثمانية عشر ملكاً. ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيباً، ويحتمل أن يكون التسعة عشر ملكاً بأعيانهم. وقال الثعلبي: ولا ينكر هذا، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق(٤). وعن ابن المبارك قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال: كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٢٧- ٣٠]. فقال: ما تسعة عشر؟ قال: تسعة عشر ألف ملك، قال: أو تسعة عشر ملكاً. قلت: لا بل تسعة عشر ملكاً، قال وأنّي تعلم ذلك؟ فقلت: لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١]. قال: صدقت هم تسعة عشر ملكاً، بيَد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان، فيضرب فيهوي بها سبعين ألف خريف(٥). وقال القرطبي:

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/٢٠/بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨١/١٩).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧٩/١٩).
(٥) التذكرة ص ٤٥٥.

«والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ له سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها»[(١)]»[(٢)].

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم غلاظ شداد بقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]. يعني الملائكة الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا، خلقوا من الغضب، وحبّب إليهم عذاب الخلق كما حبّب لبني آدم أكل الطعام والشراب. وشداد أي شداد الأبدان. وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال. وقيل: غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم. يقال فلان شديد أي قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب. وقيل: أراد بالغلاظة ضخامة أجسامهم وبالشدة: القوة. قال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم. وذكر ابن وهب قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: في خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب»[(٣)]. وعن أنس مرفوعاً: «والذي نفسي بيده، لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من يقبضون عليه بالنواصي والأقدام»[(٤)].

وقال السمرقندي (رحمه الله): «والملائكة الذين يحبسونها - أي جهنم، وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف، فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار مِن فيه، بيد كل واحد منهم أرزبة من حديد من نار فيها اثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام، ورؤوسها

(١) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي/١٠/أبواب صفة جهنم).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨٠).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٩٦).
(٤) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤١).

كرؤوس الأفاعي وهي أخفّ في يد الملك من الريشة، وأعينهم زرق ووجوههم كلحة قد خلقوا من نار السَّموم»[1].

وفي الأخبار أن الزبانية رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض، فهم يدفعون الكفار في جهنم. وقيل: إنهم أعظم الملائكة خلقاً، وأشدهم بطشاً، قال الشاعر:

مَطاعيمُ في القُصْوى مطاعين في الوَغَى
زبانيةٌ غُلْب عِظامٌ حُلومُها[2]

أي كثيرة الطعن لأهل النار لها جلبة وصوت عظيم، غليظة، لا تملك من الرحمة شيئاً.

وهؤلاء الزبانية جعلهم الله بليّة وفتنة، ليعذبوا الكافرين، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [المدثر: ٣١]. أي بليّة. وروي عن ابن عباس من غير وجه قال: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلا عذاباً[3].

أي وما جعلهم الله إلا ليكونوا على الكافرين بليّة، ليعذبوهم ويذيقوهم أشد العذاب بما كانوا يعملون، والله أعلم.

وهم لا يعصون الله فيما يأمرهم أن يفعلوه، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. أي لا يخالفون في أمر من زيادة أو نقصان. ويفعلون ما يؤمرون، أي فلا يؤخرونه ولا يقدمونه. وقيل: أي لذّتهم في امتثال أمر الله، كما أن سرور أهل الجنة في الكون في الجنة، ذكره بعض المعتزلة[4].

---

(١) بستان الواعظين (٦١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/٢٠) غلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة. والحلوم: جمع الحلم وهو العقل.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨١/١٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١٨).

المبحث الثاني: أهل النار

المطلب الأول: كيفية دخولهم النار

إن أهل النار إذا خرجوا من أرض المحشر وفرغوا من الحساب، تتلقاهم الملائكة بسلاسل من نار فتسحبهم إلى جهنم، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]. أي تغل أيديهم إلى أعناقهم. قال التيمي: لو أن غلاً من أغلال جهنم وضع على جبل لوهصه[1]، أي أذابه. وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شرّه في الدنيا فيوثقون بالحديد، ثم أمر بهم إلى النار[2].

ومنهم من يدخل النار مشياً على وجهه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الفرقان: ٣٤]. عن أنس ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه؟» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزّة ربنا[3].

ومنهم من يدفع إلى النار دفعاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت: ١٩]. قرأ نافع ﴿نَحْشُرُ﴾ بالنون ﴿أَعْدَاءَ﴾ بالنصب. قوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي يساقون ويدفعون إلى جهنم[4]. وقال الله عن ذلك الكافر الأثيم: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: ٤٧]. قوله ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي جرّوه وسوقوه. والعَتْل: أن تأخذ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٣٢).

(٢) التذكرة ص ٥٠٥.

(٣) الترغيب والترهيب (٤/٣٨٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٥٠).

بتلابيب الرجل فتعتله، أي تجره إليك لتذهب به إلى حبس أو بليّة. ويقال: عَتَله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب[١]. وقرأ أهل الحرمين ويعقوب وابن عامر وخلف ﴿فَاعْتُلُوهُ﴾ بضم التاء.

ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام، قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١]. أي تأخذ الملائكة بنواصيهم، أي بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار. والنواصي جمع ناصية. وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره. وعنه: يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندقّ ظهره، ثم يلقى في النار. وقيل يفعل ذلك به ليكون أشد لعذابه وأكثر لتشويهه. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارة تأخذ بناصيته وتجرّه على وجهه، وتارة تأخذ بقدميه وتسحبه على رأسه[٢]. وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قال: «يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف - أي يكسر - كما يقصف الحطب»[٣].

ومنهم من تأخذه الملائكة الزبانية بمقامع من حديد، قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ٢١]. قال ابن زيد: ولهم مقامع من حديد يقمعون بها هؤلاء، فإذا قال: خذوه فيأخذه كذا كذا ألف ملك، فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رُفاتاً، العظام واللحم يصير رفاتاً. قال فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال فيلقون في النار مصفودين، فليس لهم شيء يتقون به إلا الوجوه، فهم عمي قد ذهبت أبصارهم، ثم قرأ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤][٤].

وإن أهل النار يدخلونها أفواجاً أفواجاً، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]. جماعات واحدتها زمرة. وقال

---

(١) عمدة القاري (١٩/قوله: فاعتلوه).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٧٥).
(٣) الترغيب والترهيب (٤/٤٨٨، ٤٨٩).
(٤) التذكرة ص ٤٧.

الأخفش وأبو عبيدة: ﴿زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة بعضها إثر بعض. وقيل: دفعاً وزجراً(١). وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ [ص: ٥٩]. قال ابن عباس: هو أن القادة إذا دخلوا ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ يعني الأتباع - والفوج: الجماعة ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ أي داخل النار معكم. قالت السادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي لا اتسعت منازلهم في النار(٢).

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨]. لعنت أختها: أي سبقتها إلى النار، وهي أختها في الدين والملّة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي اجتمعوا(٣)، دار بينهم حديث سيمرّ في مطلب لاحق بإذن الله. وقرأ أبو عمرو: ﴿إِدَّارَكُوا﴾ بقطع ألف الوصل، فكأنه سكت على ﴿إِذَا﴾ للتذكرة، فلما طال سكوته، قطع ألف الوصل كالمبتدأ بها(٤). اللهم إنا نعوذ بك من أن نكون من أصحاب النار.

المطلب الثاني: دخول بعض عصاة أمة محمد ﷺ النار إلى حين

إن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ الذين ماتوا ولم يتوبوا، يدخلون النار يوم القيامة إلى حين ثم يخرجون. قال عنهم ﷺ: «تسوقهم الملائكة إلى النار، لا تسودّ وجوههم، ولا تزرقّ أعينهم، ولا يختم على أفواههم، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال. أما الرجال فيقادون باللحى، وأما النساء فيقادون بالذوائب والنواصي، فكم من ذي شيبة من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار وهو ينادي: واشيبتاه واضعفاه، وكم من شاب قد قبض على لحيته يساق إلى النار وهو ينادي: واشباباه واحسن صورتاه، وكم من امرأة من أمتي قد قبض على ناصيتها تقاد على النار وهي تنادي: وافضيحتاه واهتك ستراه، حتى ينتهي بهم إلى مالك، فإذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٨٣، ٢٨٤/باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٠٤).
(٤) المرجع السابق.

نظر إليهم مالك قال للملائكة: من هؤلاء؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب شأناً من هؤلاء، لم تسود وجوههم ولم تزرق أعينهم ولم يختم على أفواههم ولم يقرنوا مع الشياطين، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم، فتقول الملائكة: هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة، فيقول لهم مالك: يا معشر الأشقياء مَن أنتم؟»[١].

وروى في خبر آخر: أنهم لمّا قادتهم الملائكة ينادون: وامحمداه، فلما رأوا مالكاً نسوا اسم محمد ﷺ من هيبته فيقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن ممن أنزل علينا القرآن ونحن ممن يصوم رمضان، فيقول مالك: ما نزل القرآن إلا على أمة محمد ﷺ ، فيقول لهم مالك: أما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله تعالى؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية، قالوا: يا مالك ائذن لنا فنبكي على أنفسنا، فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لم يبقَ لهم دموع فيبكون الدم، فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء لو كان الدنيا، فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مستكم النار اليوم، فيقول مالك للزبانية: ألقوهم ألقوهم في النار، فإذا ألقوا في النار نادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع النار عنهم، فيقول مالك: يا نار خذيهم، فتقول: كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله، فيقول مالك للنار: خذيهم، فتقول: كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله، فيقول مالك: نعم، بذلك أمر رب العرش فتأخذهم[٢]. قال رسول الله ﷺ: «إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»[٣]. والحجزة: معقد الإزار، والترقوة: الرقبة.

فإذا هَوَت النار إلى وجهه قال مالك: لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا في شهر

(١) تنبيه الغافلين ص ٣١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) جامع الأصول (١١/ ٨٠٧٤).

رمضان، وقال ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود»[1].

فيبقون ما شاء الله فيها، ويقولون يا أرحم الراحمين، يا حنّان يا منّان، فإذا أنفذ الله حكمه قال: يا جبريل ما فعل العاصون من أمة محمد ﷺ ، فيقول اللهم أنت أعلم بهم، فيقول: انطلق فانظر، ما حالهم، فينطلق جبريل عليه السلام إلى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم، فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه السلام قام تعظيماً له فيقول: يا جبريل ما أدخلك هذا الموضع؟ فيقول: ما فعلتَ بالعصابة العاصية من أمة محمد ﷺ ، فيقول مالك: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم، قد أحرقت أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان، فيقول جبريل: ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم، قال: فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم، فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب، فيقولون: من هذا العبد الذي لم نرَ أحداً قط أحسن منه؟ فيقول مالك: هذا جبريل الكريم على ربه الذي كان يأتي محمداً ﷺ بالوحي، فإذا سمعوا ذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم وقالوا: يا جبريل أقرئ محمداً (منّا السلام، وأخبره أن معاصينا فرّقت بيننا وبينك وأخبره بسوء حالنا[2].

وسيمر في الفصل اللاحق عن كيفية خروجهم إن شاء الله. ونسأله تعالى أن يجعلنا من أمة محمد ﷺ الذين يدخلون الجنة بغير عذاب.

المطلب الثالث: صفات أشكال أهل النار

إن لأهل النار لأشكال قبيحة، وإنه لتعظم أجسادهم في النار، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لو أن رجلاً من أهل النار أخرج إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أُحد، وفضيلة جسده

(١) رواه ابن ماجه (٢/٤٣٢٦).
(٢) تنبيه الغافلين ص ٣١، ٣٢.
(٣) الترغيب والترهيب (٤/٤٨٣).

على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام وضرسه مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده سوى لحمه وعظامه أربعون ذراعاً»[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن غِلَظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة»[٣]. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ[٤] والفرسخين يتوطأه الناس»[٥]. وقال رسول الله ﷺ: «ما بين منكبي الكافر ثلاثة أيام للراكب المسرع»[٦]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: تشويهِ النار فتتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرّته»[٧].

وقال السمرقندي (رحمه الله): «يعظم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام، وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعاً، وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أُحد، شعره كأجسام القصب، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعاً، ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام، فيها ديدان لها جَلَبة كجلبة الوحوش في البرية، في جسده من الشعر ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، في أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله

(١) رواه ابن ماجه (٢/٤٣٢٢).
(٢) مسند أحمد بن حنبل (٣/١٠٨٤٨).
(٣) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي ١٠/٤٦).
(٤) حوالي أربعة أميال.
(٥) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي ١٠/٤٦).
(٦) رواه البخاري (٢٣/٦١٦٤).
(٧) مصابيح السنة (٤/٤٤١٢).

تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة عين»[1].

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي: «هذه المقادير التي يكون عليها الكافر في جلده وجسمه ولحمه وعظامه ولسانه قال علماؤنا: ليست مخلوقة ابتداء، وإنما هي الأجزاء التي كانت في الدنيا موجودة وباينت الجسم على طول مداه، فيجمعها الله سبحانه له من غذاء تغذاه، وما أكل الهواء والفساد منه، ويحتمل أن تكون الأجزاء التي أفسدها أو ظلم بها توصل به حتى يكون ذلك أعظم لآلامه، فإن البدن متى كان أكثر أجزاء كان الألم أعظم عادة أجراها الله تعالى، وكون الخلق يتوطؤون، فيه ذلّة وصَغار، فإن الذي هو فيه من العذاب أعظم من الوطء على اللسان، ويحتمل أن يكون الله يخلق له من العذاب وجعاً في لسانه وذلّة في قلبه أضعاف أو مثل ما يخلقه عند اتصال الأجزاء بالنار، فإن الآلام عندنا ليست على مقادير الأسباب، وإنما هي بحسب ما يخلق الله منها عند اتصالها بمسبباتها»[2].

وكأنّ اختلاف هذه المقادير محمول على اختلاف تعذيب الكفار في النار. قال القرطبي: إنما عظم الكافر في النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه، ثم قال: وهذا إنما هو في حق البعض بدليل الحديث الآخر: «إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صوَر الرجال، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس» قال: ولا شك في أن الكفار متفاوتون في العذاب كما علم في الكتاب والسنّة، ولأنّا نعلم على القطع أن عذاب من قتل الأنبياء وفتك في المسلمين وأفسد في الأرض، ليس مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن معاملة المسلمين مثلا[3].

قال ابن حجر: «أما الحديث المذكور فأخرجه الترمذي والنسائي بسند جيد ولا حجة فيه لمدعاه، لأن ذلك إنما هو في أول الأمر عند الحشر، وأما الأحاديث الأخرى فمحمولة على ما بعد الإستقرار في النار. وأما

---

(١) بستان الواعظين (١٩٢).

(٢) عارضة الأحوذي (١٠/باب ما جاء في عظم أهل النار).

(٣) فتح الباري (١٤/٢١٤).

تفاوت الكفار في العذاب فلا شك فيه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]»[١].

وفي صفاتهم، قال تعالى عن أحد كفار مكة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦]. قال ابن عباس: معنى سنسمه: سنَخْطمه بالسيف. وقال قتادة: سنسمه يوم القيامة على أنفه سِمة يُعرف بها. والخَرطوم الأنف من الإنسان. قال الفراء: وإن كان الخرطوم قد خصّ بالسِّمة، فإنه في معنى الوجه، لأن بعض الشيء يعبّر به عن الكل[٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. المجرمين أي المشركين، ﴿زُرْقًا﴾ حال من المجرمين، والزرق خلاف الكحل. والعرب تتشاءم بزَرَق العيون وتذمّه، أي تشوّه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم. وقال الكلبي والفراء: زرقاً أي عمياً. وقال الأزهري: عطاشاً قد ازرقت أعينهم من شدة العطش، وقال الزجّاج، قال: لأن سواد العين يتغير ويزرق من العطش[٣]. وقال سعيد بن جبير: قيل لابن عباس في قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. فقال: إن ليوم القيامة لحالات، فحالة يكونون فيها زرقاً وحالة عمياً[٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]. أي مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته[٥].

ويجوز أن يكونوا قد حشروا ووجوههم مسودّة، وعيونهم مزرقّة من العطش، لقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشاً، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (١٤/ ٢١٤/ باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٣٦، ٢٣٧/باختصار).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٤٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٤٤).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٧٤).

المطلب الرابع: بكاؤهم وشهيقهم

إن أهل النار إذا عرفوا مقامهم ومصيرهم، يئسوا وندموا على أنفسهم لما رأوا العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [يونس: ٥٤]. أي أخفوا ندامتهم عن أتباعهم لمّا رأوا العذاب، وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا في النار ألهتهم النار عن التصنع، بدليل قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]. فبيّن أنهم لا يكتمون ما بهم. وقيل أسروا أي أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدل على أن الآخرة ليست دار تجلّد وتصبر. وقيل: وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم، لأن الندامة لا يمكن إظهارها(١).

فإذا أسرّوا ندامتهم بكوا بكاءً شديداً، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فيسيل الدم فيقرح العيون»(٢). وقال ﷺ: «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى تصير وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت»(٣). وجاء في الخبر أنهم إذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا إلى الزبانية قالوا: يا مالك ائذن لنا فنبكي على أنفسنا، فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لم يبقَ لهم دموع فيبكون الدم، فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا، فلو كان في الدنيا من خشية الله ما مستكم النار اليوم(٤).

وإن لأهل النار فيها لَشهيق وزفير، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٦]. قال أهل اللغة من الكوفية والبصريّة: الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق بمنزلة آخر نهيقه. وقال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٢/٨).
(٢) الترغيب والترهيب (٤٩٣/٤).
(٣) رواه ابن ماجه (٤٣٢٤/٤).
(٤) تنبيه الغافلين ص ٣١.

الراغب: الزفير ترديد النَّفَس حتى تنتفخ الضلوع منه، من زفر فلان إذا حمل حملاً بمشقة فتردد فيه نفَسه، ومنه قيل للإماء الحاملات الماء: زوافر، والشهيق طول الزفير وهو رد النفَس، والزفير مدّه، وأصله من جبل شاهق أي متناه في الطول وعن السائب أن الزفير للحمير، والشهيق للبغال وهو غريب، ويراد بهما الدلالة على كربهم وغمّهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه، أو تشبيه أصواتهم بأصوات الحمير، ففي الكلام استعارة تمثيلية أو استعارة مصرحة، والمأثور عن ابن عباس ﷺ أنه قال: يريد ندامة ونفساً عالياً وبكاءاً لا ينقطع[١]. وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول: إنكم ماكثون، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيق وآخرها زفير»[٢].

المطلب الخامس: تفاوتهم في العذاب

إن الذين يعذبون في النار وهم أهلها، وعصاة أمة محمد ﷺ، يتفاوت بينهم العذاب، فلكل منهم عذاب بحسب أعماله في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»[٣]. وقال ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً، رجل منعتل بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه، مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى صدره مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى ترقوته مع أجزاء العذاب، ومنهم من اغتمس فيها»[٤]. وقد مرّ في فصل سابق أن من أهل النار من هم في أعلاها، ومنهم من في

---

(١) روح المعاني (١٢/٣٦٧).
(٢) الترغيب والترهيب (٤/٤٩٢).
(٣) جامع الأصول (١١/٨٠٧٤). الحجزة: معقد الإزار، الترقوة: الرقبة.
(٤) مختصر زوائد مسند البزّار (٢/٢٢٧٤).

وسطها، ومنهم في أسفلها وهم أشد أهل النار عذاباً.

فمنهم من يسحب فيها على وجهه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨]. وقال ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٦]. أي يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم[1]. وعن كعب الأحبار أنه قال: إن الله لينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه، فيأخذه مئة ألف أو يزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه، غضباً لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار، فالنار أشد غضباً منهم بسبعين ضعفاً، فيستغيث بشربة، فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه ويكدس في النار، فويل له من النار»[2].

ومنهم من تحرق النار وجوههم، قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال: «تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم»[3].

ومنهم من تحرق جلودهم ثم تبدل، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. قال الحسن البصري: «تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فيعادون كما كانوا»[4]. ومنهم من يعذب بغير ذلك من أنواع العذاب، وقد مرت في فصول سابقة.

وأما أهونهم عذاباً فهو أبو طالب. عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ وذُكر عنده عمّه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه يغلي منه أُمّ دماغه»[5].

---

(١) فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير (٥/سورة الأحزاب).
(٢) نهاية البداية والنهاية (١٥٢/٢).
(٣) نهاية البداية والنهاية (١٦٤/٢).
(٤) الترغيب والترهيب (٤٨٩/٤).
(٥) رواه البخاري (٦١٧٤/٢٣).

وعن العباس بن عبد المطلب أنه قال: «يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»(١).

وإن أبا طالب لم يجعل في ضحضاح من نار جزاء لعمله، إنما جعله في ضحضاح من النار، هو إكرام الله تعالى لرسوله ﷺ، وتشفيعه فيه هو من خصائص الرسول ﷺ، لأن الله تعالى أخبر عن الكافرين بأن أعمالهم ذاهبة، فقال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في إخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه - وفي رواية: مَن له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه - كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»(٢). وقال ﷺ: «إن أدنى أهل النار لرجل عليه نعلان يغلي منهما دماغه كأنه مرجل، مسامعه جمر، وأضراسه جمر، وأشفاره لهب النار، وتخرج أحشاء جنبيه من قدميه، وسائرهم كالحَبّ القليل في الماء الكثير فهو يفور»(٣).

وأما أشدهم عذاباً فهم آل فرعون ومن كفر من أصحاب المائدة والمنافقون، قال ابن عمر: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون، تصديق ذلك في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وقال تعالى في أصحاب المائدة: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. وقال في آل فرعون: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦](٤).

---

(١) رواه مسلم (٨٥/٣).
(٢) جامع الأصول (٨٠٧٢/١١).
(٣) الترغيب والترهيب (٤٨٨/٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤٢٥/٥).

وأما قول رسول الله ﷺ: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون»[1].

فلعله ﷺ قصد بأشد الناس عذاباً يوم القيامة من أمته وليس من أهل النار جميعاً، لأننا نعرف أن عذاب الكافرين وأهل النار الذين هم أهلها أشد من عذاب الموحدين، وأما أن يكون المصوّر من الكافرين، فهو أشد الناس عذاباً مع غيره ممن ذكروا في القرآن الكريم أنهم أشد أهل النار عذاباً، وهم آل فرعون ومن كفر من أصحاب المائدة والمنافقون، والله أعلم.

المطلب السادس: طعامهم وشرابهم

إن الله تعالى يلقي على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيطلبون الغوث، ويا ويلهم من ذلك الغوث، إنهم ما يغاثون إلا بالحميم والطعام ذي الغصة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]. فعن وهب بن منبه قال: «أهل النار الذين هم أهلها، هم في النار لا يهتدون ولا ينامون ولا يموتون، يمشون على النار، ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم أهل النار»[2].

وقال تعالى ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]. أي غير سائغ، يأخذ بالحلق، لا هو نازل ولا هو خارج، وهو الغسلين والزقوم والضريع، قاله ابن عباس. وعنه أيضاً: أنه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج[3]. والغُصّة: الشجا، وهو ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره، وجمعها غُصص[4]. ولهم في نار جهنم أنواعاً من الطعام، وهي الزقوم والضريع والغسلين، وكلها أسماء وردت في القرآن الكريم.

---

(١) رواه مسلم (١٤/٩٣).
(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٦).
(٤) المرجع السابق.

وإن من عجائب جهنم التي تأخذ بمجامع الفكر خروج الشجر فيها، وهي التي من طبيعتها حرق كل شيء تصيبه أو تقربه. ومن طبيعة الشجر الاخضرار والإيراق والإثمار، وكلها لا تلتقي مع طبائع النار لولا مشيئة الله الغالبة وقضاؤه المحتم... وقد تكلم الله تعالى في القرآن الكريم عن هذا الشجر، فأورد ذكره مفرداً آناً وجمعاً آناً آخر.

فأما الزقوم، قال تعالى عنه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦]. وشجرة الزقوم: الشجرة التي خلقها الله وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغليت بطونهم كما يغلي المار الحار. وشبّه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب. وقراءة العامة: ﴿تَغْلِي﴾ بالتاء حملاً على الشجرة. وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن ورويس عن يعقوب: ﴿يَغْلِى﴾ بالياء حملاً على الطعام، وهو في معنى الشجرة. ولا يحمل على المهل لأنه ذكر للتشبيه[١]. وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها. والمهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس، وقيل: المهل: عكر الزيت الشديد السواد، وقوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ يعني الماء الشديد الحر[٢].

ووصف الله شجرة الزقوم في آيات أخرى. فقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الصافات: ٦٢، ٦٣]. وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها. قال المفسرون: وهي في الباب السادس، وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها، وكذلك يصعد إليها من كان أسفل[٣]. واختلف فيها هل هي

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٤٩).
(٢) التذكرة ص ٤٨٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٥).

من شجر الدنيا التي تعرفها العرب أم لا على قولين، أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا. ومن قال بهذا اختلفوا فيها، فقال قطرب: إنها شجرة مُرّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: بل هو كل نبات قاتل. القول الثاني: إنها لا تعرف من شجر الدنيا، فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم، قالت كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة[1].

والأفضل هو القول الثاني على أن الزقوم غير معروفة من شجر الدنيا، لأنه جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لو أن قطرة من الزقوم قطّرت في الأرض لأفسدت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام غيره»[2]. فقوله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض» دليل على أن الزقوم غير موجود في الأرض، ولو وجد في الأرض لأفسد المعايش على أهل الدنيا. وكذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤]. وهو دليل على أن منبتها في أصل الجحيم وليس على الأرض، والله أعلم.

ومنشؤها في قعر النار، ثم هي متفرعة في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤].

ويجوز أن يكون قوله: ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، أي جنس الشجرة وهو الزقوم وليس واحدة الشجرة، لأنه قال في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الوقعة: ٥١ - ٥٣]. فإذاً شجرة الزقوم ليست شجرة واحدة، إنما هي أشجار كثيرة تسمى الزقوم، وتنبت في أصل الجحيم، والله أعلم.

ووصف الله شكل ثمرها فقال: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥]. طلعها: أي ثمرها، وسمي طلعاً لطلوعه، ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ قيل: يعني الشياطين بأعيانهم شبهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين متصوّر في النفوس وإن كان غير مرئي. ومن ذلك قولهم لكل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٢/٤٣٢٥).

قبيح هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة هو كصورة ملك[1]. وقال الزمخشري: «هو شجر خشن منتن مرّ منكر الصورة يسمى ثمرة رؤوس الشياطين»[2].

ثم قال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الصافات: ٦٦]. أي سيأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم.

ويجوز معناها أنهم يأكلون منها رغماً عنهم من شدّة جوعهم، والله أعلم.

ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الصافات: ٦٦]. الشوب: الخلط، وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوباً وشيابة. وقال السدي: يشاب لهم الحميم بغساق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم. وقيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم، تغليظاً لعذابهم وتجديداً لبلائهم[3].

وأما طعام الضريع، فقال تعالى عنه: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٦]. أي ليس لأهل النار طعام إلا الضريع. قال عكرمة ومجاهد: الضريع نبت ذو شوك لاصق بالأرض، تسميه قريش الشِّبْرق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه، وهو سمّ قاتل، وهو أخبث الطعام وأشنعه، على عامة المفسرين. إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال: هو شيء يرمي به البحر، يسمى الضريع، من أقوات الأنعام لا الناس، فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع، وهلكت هزلاً. والصحيح ما قاله الجمهور: إنه نبت. وقال الخليل: الضريع نبات أخضر منتن الريح، يرمي به البحر. وقال الوالي عن ابن عباس: هو شجر من نار، لو كانت في الدنيا لاحترقت الأرض وما عليها. وقال سعيد بن جبير: هو الحجارة، وقاله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٨٧/باختصار).

عكرمة. والأظهر أنه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا. وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «الضريع: شيء يكون في النار، يشبه الشوك، أشد مرارة من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأحرّ من النار، سماه الله ضريعاً». وقال خالد بن زياد: سمعت المتوكل بن حمدان يسأل عن هذه الآية ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ قال: بلغني أن الضريع شجرة من نار جهنم، حملها القيح والدم، أشد مرارة من الصبر، فذلك طعامهم. وقال الحسن: هو بعض ما أخفاه الله من العذاب. وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنه ويذلون ويتضرعون منه إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه، فسمي بذلك، لأن آكله يضرع في أن يعفى منه لكراهته وخشونته[1].

ثم وصفه الله تعالى قائلاً: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٧]. أي لا يسمن آكله، وكيف يسمن من يأكل الشوك! قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن بالضريع، فنزلت: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾. وكذبوا فإن الإبل إنما ترعاه رطباً، فإذا يبس لم تأكله. وقيل اشتبه عليهم أمره فظنّوه يغني من جوع[2]. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلاليب من الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوَت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم، قطعت ما في بطونهم»[3].

وقال الله تعالى في آيات أخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦]. وقال هنا: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾. وهو غير الغسلين. ووجه الجمع أن النار دركات، فمنهم من طعامه الزقوم،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٩، ٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٢).

(٣) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي/١٠/باب ما جاء في طعام أهل النار).

ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد. قال الكلبي: الضريع في درجة ليس فيها غيره، والزقوم في درجة أخرى[(١)]. وقيل: الاختلاف بحسب من يطعم من أهل النار، فمن اتصف بالصفة الأولى فطعامه من غسلين، ومن اتصف بالثانية فطعامه من الضريع، والله أعلم[(٢)].

والغسلين قال تعالى عنه: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦]. وهو فِعْلين من الغَسْل، فكأنه ينغسل من أبدانهم، وهو صديد أهل النار السائل من جروحهم وفروجهم، عن ابن عباس. وقال الضحاك والربيع بن أنس: هو شجر يأكله أهل النار. والغِسْل (بالكسر): ما يغسل به الرأس من خِطْمي وغيره. وقال الأخفش: ومنه الغسلين، وهو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم. وقال قتادة: هو شر الطعام وأبشعه[(٣)]. وقال السمرقندي (رحمه الله): «إنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة، فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال، وما سقط منه أطعموه إيّاه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى»[(٤)].

وإن أهل النار يساقون يوم القيامة عطاشاً إلى النار، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] قال: عطاشاً. وعن مجاهد قال: منقطعة أعناقهم من الظمإ. ووصف الله شُربهم فقال: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥٥]. وهي قراءة نافع وعاصم وحمزة ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. والهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها، وقال الضحاك: الهيم الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً. وقال ابن عباس: فيشربون شرب الإبل والرمل التي لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١/٢٠).
(٢) فتح الباري (١٤٠/٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٨).
(٤) بستان الواعظين (١٩٣).

تروى بالماء[1].

وإنهم لا يسقون فيها إلا الحميم، قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥]. قال ابن عباس: البرد برد الشراب. وعنه أيضاً: البرد: النوم، والشراب: الماء. وأما الزمهرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم، فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به. والحميم: الماء الحار، قاله أبو عبيدة. وقال ابن زيد: الحميم دموع أعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه. وقال النحّاس: أصل الحميم: الماء الحار، ومنه اشتق الحمّام، ومنه الحمّى، ومنه: ﴿وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ﴾ إنما يراد به النهاية في الحر[2]. وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]. (الْحَمِيمُ): الماء الحار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها، ﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب، وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة، أي إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر، فيذيب أحشاءهم كما يذيب جلودهم، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥][3].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفُذُ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فَيَسْلِت ما في جوفه حتى يَمْرَق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»[4]. وقال القرطبي: «إذا دنا منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم. والأمعاء جمع مِعى، والتثنية: ميعان، وهو جميع ما في البطن من الحوايا»[5]. وقال الضحاك: الحميم يغلي منذ خلق الله

---

(١) فتح الباري (١٤٠/١٤/باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١٤/١٧، ٢١٥/باختصار).
(٣) الكشاف (١٥٠/٣، ١٥١).
(٤) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي: ١٠/أبواب جهنم).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/١٦).

السماوات والأرض إلى يوم يسقون ويصبّ على رؤوسهم[1].

ومن أنواع شرابهم غير ما مرّ، الغسّاق، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص: ٥٧]. وقرأ غسّاق غير الأصحاب[2] وحفص بالتخفيف ﴿غَسَاقٌ﴾، وهما لغتان بمعنى واحد في قول الأخفش. وقيل: معناها مختلف، فمن خفف فهو اسم مثل عذَاب وجوَاب وصوَاب، ومن شدّد قال: هو اسم فاعل نقل إلى فعّال للمبالغة نحو: ضرّاب وقتّال، وهو فعّال من غسق يغسِق فهو غسّاق وغاسق. قال ابن عباس: هو الزمهرير يخوفهم ببرده. وقال مجاهد ومقاتل: هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده. وقال غيرهما: إنه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحرّه. وقال عبد الله بن عمرو: هو قيح غليظ لو وقع منه شيء بالمشرق لأنتن من في المغرب، ولو وقع منه شيء في المغرب لأنتن من في المشرق[3]. وقال النبي ﷺ: «لو أن دلواً من غسّاق يهراق في الدنيا، لأنتن أهل الدنيا»[4]. وقال قتادة: هو ما يسيل من فُرُوج الزناة، ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح والنتن[5]. وقال السدي: الغسّاق الذي يسيل من أعينهم ودموعهم يسقونه مع الحميم[6].

ولهم شراب من ماء كالمهل، قال تعالى عنه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. قال ابن عباس: المهل ماء غليظ مثل دُرْدِيّ[7] الزيت. وقال مجاهد: القيح والدم. وقال الضحاك: ماء أسود، وإن جهنم لسوداء، وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود. وقال أبو عبيدة: هو كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس وقزدير، فتموج بالغليان، فذلك المهل.

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٧٧).
(٢) وهم حمزة والكسائي وخلف.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢١، ٢٢٢).
(٤) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي: ١٠/ باب ما جاء في صفة شراب أهل النار).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٢).
(٦) المرجع السابق.
(٧) ما يبقى في الأسفل (عكر).

ونحوه عن ابن مسعود. قال سعيد بن جبير: هو الذي قد انتهى مرّه. وقال: المهل ضرب من القَطِران. وقيل: هو السمّ. والمعنى في هذه الأقوال متقارب. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كعكر الزيت، فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه»[1]. وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. يقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]»[2].

قال القرطبي: وهذا يدل على صحة تلك الأقوال، وأنها مرادة، والله أعلم. وكذلك نصّ عليها أهل اللغة. وفي الصحاح (المهل) النحاس المذاب. قال ابن العربي: المهل، المذاب من الرصاص. وقال أبو عمرو: المهل دردي الزيت. والمهل أيضاً القيح والصديد[3].

وليس طعام أهل النار الزقوم والضريع والغسلين وشرابهم والغسّاق والصديد والمهل فقط، إنما هنالك أنواع من الأطعمة والأشربة المشابهة لهذه الأطعمة والأشربة، ولكن الله تعالى لم يذكر عنها شيئاً سوى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧، ٥٨]. أي وعذاب آخر سوى الحميم والغسّاق. قال ابن مسعود: هو الزمهرير. وقرأ البصريان ﴿وَأُخَر﴾ وأريد به: وأنواع من العذاب أخر، ومن جمع وهو يريد الزمهرير فعلى أنه جعل الزمهرير أجناساً فجمع لاختلاف الأجناس. وأنكر أبو عمرو ﴿وَآخَر﴾ لقوله تعالى ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أي لا يخبر

---

(١) رواه ابن حبّان (٧٤٧٣/١٦).

(٢) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي/١٠/باب ما جاء في صفة شراب أهل النار).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٩٤/١٩، ٣٩٥/باختصار).

بواحدة عن جماعة. وأنكر عاصم الجحدريّ ﴿وَأُخَر﴾ قال: لو كانت ﴿وَأُخَر﴾ لكان من شكلها، وكلا الردين لا يلزم، والقراءتان صحيحتان[1].

ويجوز أن تكون ﴿وَآخَر﴾ أو ﴿وَأُخَر﴾ تعني: وأزواج أخرى من الطعام والشراب، لعطفهما على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ وهما من طعام وشراب أهل النار، والله أعلم.

المطلب السابع: لباسهم ومهادهم

قال تعالى مخبراً عن ثياب أهل النار: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩]. أي خيطت وسوّيت، وشبّهت النار بالثياب لأنها لباس لهم كالثياب. وقوله ﴿قُطِّعَتۡ﴾ أي تقطع لهم في الآخرة ثياب من نار، وذكر بلفظ الماضي لأن ما كان من أخبار الآخرة فالموعود منه كالواقع المحقق. ويحتمل أن يقال: قد أعدّت الآن تلك الثياب لهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار[2]. وقرئ ﴿قُطِعت﴾ بالتخفيف، كأن الله تعالى يقدّر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة. ويجوز أن تظاهر كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض[3]. وقال سعيد بن جبير: ﴿مِّن نَّارٖ﴾ من نحاس، فتلك الثياب من نحاس قد أذيبت، وهي السرابيل المذكورة في «قِطْرِ آن» وليس في الآنية شيء إذا حَمِيَ يكون أشد حراً منه. وقيل: المعنى أن النار قد أحاطت بهم كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم، فصارت من هذا الوجه ثياباً، لأنها بالإحاطة كالثياب، مثل: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠﴾ [النبأ: ١٠][4].

وقال الله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. أي قمصهم، عن ابن دُريد وغيره. واحدها سربال. ﴿مِّن قَطِرَانٖ﴾ يعني: نحاس مذاب من شدة حرارته، وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم. وفي الصحيح: أن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٢، ٢٢٣/باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٦/باختصار).
(٣) الكشاف (٣/١٠٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٦، ٢٧).

النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿قَطْرَانٍ﴾ بفتح القاف وتسكين الطاء. وفيه قراءة ثالثة: كسر القاف وجزم الطاء، وقراءة رابعة ﴿قِطْرِ آنٍ﴾، رويت عن ابن عباس وأبي هريرة وعكرمة وسعد بن جبير ويعقوب، والقِطر النحاس والصُفر المذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. والآن: الذي قد انتهى إلى حره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤][1].

وقال السمرقندي (رحمه الله): «يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرّها فتعلق في عنقه وهي تشتعل ناراً، ثم يؤتى بتاج من نار فيوضع على رأسه، فيصعد حرّ الصخرة وينزل حرّ التاج إلى وجهه مع حر الصخرة، ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الزمر: ٢٤]،وقال عز وجل: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. تغشى وجوه الكفار. ثم يؤتى بسربال من قطران وهو نحاس جهنم قد انتهى في شدة الحر فيلبسه، لو أن ذلك السربال ألقي في الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر»[2]. وفي حديث للنبي ﷺ عن الزناة قال: «فإذا دخلوها يلبسهم مالك دروعاً من نار، ولو وضع درع الزاني على جبل شامخ عالٍ ساعة لصار رماداً»[3]. وفي حديث عن شارب الخمر، قال ﷺ: «وعند مالك نعال من نار، فيلبسه منها نعلين تغلي منهما دماغه حتى يخرج المخ من أرنبته»[4]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه»[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٨٥/بتصرف).
(٢) بستان الواعظين (١٩٢).
(٣) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٧٠ (طرف من الحديث).
(٤) قرة العيون ومفرح القلب المحزون ص ١٦٤ (طرف من الحديث).
(٥) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٥).

وأما مهادهم وفرشهم، قال تعالى عنها: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. المهاد: الفراش، الغواش: الأغطية[١]. وقال القرطبي: غواش جمع غاشية أي نيران تغشاهم[٢]. وعن وهب بن منبه قال: «إن أهل النار الذين هم أهلها، هم في النار لا يهتدون ولا ينامون، ولا يموتون، يمشون على النار ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم أهل النار، لحفهم النار وفرشهم النار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار»[٣].

ومع أن لهم فرشاً ومهاداً وأغطية من نار، فإنهم لا يستطيعون أن يناموا ليرتاحوا مما هم فيه من العذاب، قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ [النبأ: ٢٤]. البرد: النوم في قول أبي عبيدة وغيره. وقال الزجاج: أي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم. وقال الحسن وعطاء وابن زيد. برْداً: أي روحاً وراحة[٤].

وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: ٥٦]. أي بئس ما مهدوا لأنفسهم، أو بئس الفراش لهم[٥].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]. سمي ما تحتهم ظلل لأنها تظل مَن تحتهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]. وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥][٦].

وعن سويد بن غفلة ﷺ قال: «إذا أراد الله أن يُنسى أهل النار، جعل لرجل منهم صندوقاً على قدره من نار، لا ينبض منه عرق إلا فيه

(١) الكشاف (٢/٩٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٠٧).
(٣) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٨٠/باختصار).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢١١).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٤٣).

مسمار من نار، ثم تضرم فيه النار، ثم يقفل بقفل من نار، ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار، ثم يضرم بينهما ثم يقفل بقفل من نار، ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار، ثم يضرم بينهما ثم يقفل، ثم يلقى أو يطرح في النار فذلك قوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]. وذلك قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠]. قال فما يرى أن في النار أحد غيره[1].

المطلب الثامن: حوارهم وتخاصمهم

إن أهل النار إذا دخلوا النار تخاصموا فيها، وألقوا اللوم على أنفسهم وعلى بعضهم البعض، ودارت حوارات ونقاشات فيما بينهم، ثم تنتقل هذه الحوارات لتكون مع الزبانية، ثم تنتقل لتكون مع خازن النار مالك، ثم تنتقل لتكون مع رب العزة تبارك وتعالى، ثم بعد ذلك لا ينطقون بعدها أبداً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر: ١٠]. قال الكلبي يقول كل إنسان من أهل النار لنفسه: مقتك يا نفس، فتقول الملائكة لهم وهي في النار: لمقت الله إياكم إذ أنتم في الدنيا وقد بعثت إليكم الرسل فلم تؤمنوا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم[2]. وقال قتادة: المعنى ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ لكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾، ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إذ عاينتم النار. فإن قيل: كيف يصحّ أن يمقتوا أنفسهم؟ ففيه وجهان: أحدهما: أنهم أحلوها بالذنوب محل الممقوت. الثاني: أنهم لما صاروا إلى حال زال عنهم الهوى، وعلموا أن نفوسهم هي التي أوبقتهم في المعاصي مقتوها[3].

---

(١) الترغيب والترهيب (٤٨٩/٤، ٤٩٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/١٥، ٢٩٧).

(٣) المرجع السابق.

ثم يتوجهون إلى بعضهم البعض فيتخاصمون على ما فعل بعضهم ببعض في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٦٤]. أي إن تخاصم أهل النار في النار لحق[(١)].

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: ٥٩ - ٦١]. قال ابن عباس هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾، يعني الأتباع، والفوج: الجماعة، ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ أي داخل النار معكم، فقالت السادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾، أي لا اتسعت منازلهم في النار. ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ﴾، أي إنهم صالوا النار كما صَلَيناها. فقال الأتباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي دعوتمونا إلى العصيان، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لنا ولكم. ثم قال الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ بدعائه إيانا إلى المعاصي ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]. أي كلما دخلت أمة ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي ضلّت بالاقتداء بها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾، أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ منزلة وهي الأتباع والسفلة ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ منزلة، وهي القادة والرؤس. ومعنى أولاهم: لأجل أولادهم، لأن خطابهم مع الله لا معهم، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ مضاعفاً ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ لأن كلاً من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين، فيرد عليهم القادة: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾، أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنتم متساوون في استحقاق الضعف،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٣، ٢٢٤/باختصار).

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ من قول القادة أو من قول الله لهم جميعاً[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨]. أي يختصمون فيها ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الانقياد للأنبياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فيما دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا، فهل أنتم متحملون عنا جزءاً من العذاب؟ و﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي في جهنم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ أي لا يؤخذ أحداً بذنب غيره فكل منا كافر[٢].

وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١]. أي يقول الأتباع للقادة: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ أي دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي شيئاً[٣]. فيرد عليم الذين استكبروا: ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ أي لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه. وقيل: لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها. وقيل: لو نجّانا الله لنجيناكم منه. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ أي من مهرب وملجأ. والمعنى ما لنا وجه نتباعد به عن النار[٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ

---

(١) الكشاف (٢/٩٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٢١/باختصار).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٥٥/باختصار و تصرف).

(٤) المرجع السابق.

كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ في الدنيا من الكافرين ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وهم القادة والرؤساء: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾، أي أغويتمونا وأضللتمونا. فيقول ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾، هو استفهام بمعنى الإنكار، أي ما رددناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ أي مشركين مصرّين على الكفر، فقال ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، أي مسارّتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حملنا على هذا. قال قتادة: بل مكركم بالليل والنهار صدّنا، فأضيف المكر إليهما لوقوعه منهما، ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ أي أشباهاً وأمثالاً ونظراء. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾(١).

وبعد أن يتخاصم أهل النار فيما بينهم، فلا يرون ذلك ينفعهم لكي يخرجوا من النار، فيتوجهون إلى خزنة النار، لعل ذلك ينفعهم للخروج منها، أو لعل الملائكة تشفع لهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩]. ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ أي جماعة من الكفار. ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ على جهة التوبيخ والتقريع. ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ أي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ﴾

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١٤ - ٣٠٤/باختصار وتصرف).

أنذرنا وخوّفنا. ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ أي على ألسنتكم، ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يا معشر الرسل ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠]. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ من الأمم الكافرة ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾، قال محمد بن كعب القرظي: بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾ فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب، فردّت عليهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ الخبر بطوله[2]. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شَوَت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطّعت ما في بطونهم، فيقولون ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات، قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال»[3]. أي خسار وتبار.

فإذا يئسوا مما عند الخزنة، ولم يجدوا لهم عندهم نجاة من النار نادوا مالكاً وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. سألوا الموت، قال: فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، قال: والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدّون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وفي حديث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «فيقولون ادعوا مالكاً، فيقولون يا مالك ليقض

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢١٢/٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٥، ٣٢٢).
(٣) رواه الترمذي (عارضة الأحوذي/١٠/أبواب صفة جهنم/طرف من الحديث).

علينا ربك قال إنكم ماكثون»، قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام[1]. وقال ابن عباس: يقولون ذلك يجيبهم ألف سنة، ثم يقول: إنكم ماكثون. وقال مجاهد ونَوْف البكاليّ: بين نداءهم وإجابته إياهم مائة سنة. وقال عبد الله بن عمرو: أربعون سنة، ذكره ابن المبارك[2].

ثم قال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨﴾ [الزخرف: ٧٨]. يحتمل أن يكون هذا من قول مالك لهم، أي إنكم ماكثون في النار لأنا جئناكم في الدنيا بالحق فلم تقبلوا. ويحتمل أن يكون كلام الله لهم يوم القيامة، أي بيّنا لكم الأدلة وأرسلنا إليكم الرسل ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ أي ولكن كلكم. وقيل: أراد بالكثرة الرؤساء والقادة منهم، وأما الأتباع فما كان لهم أثر. ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي للإسلام ودين الله ﴿كَٰرِهُونَ﴾[3].

فلما سمعوا منه ما سمعوا ويئسوا ممن قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، ثم يقولون: فلندعوا ربنا، فلا أحد خير من ربنا. فتقع بين الحق تبارك وتعالى وبينهم نقاشات خمس، فيجيبهم الله في أربع، فإذا كانت الخامسة لا يتكلمون بعد ذلك أبداً، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]. قوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ ختلف أهل التأويل في معناه، فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان وموتتان، وهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨]. وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١٨).

أحياهم في القبور للمسألة، ثم أميتوا ثم أحيوا في الآخرة. وقال ابن زيد في قوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ الآية، قال: خلقهم في ظهر آدم وأخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم. ثم قالوا: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾، اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم، ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ أي هل نردّ إلى الدنيا لنعمل صالحاً، نظير: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [الشورى: ٤٤]. وقوله: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧](١).

فيجيبهم الله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [غافر: ١٢]. أي ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب أنتم فيه بكفركم. وفي الكلام متروك تقديره فأجيبوا بأن لا سبيل إلى الردّ. وذلك لأنكم ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ أي وحّد الله ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ وأنكرتم أن تكون الألوهية خاصة، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله. قال الثعلبي: وسمعت بعض العلماء يقول: ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ بعد الردّ إلى الدنيا لو كان ﴿تُؤۡمِنُواْۚ﴾ تصدقوا المشرك، نظيره: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨](٢).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. أي يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما كنا نكذب ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ ما كنا ننكر ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ إنا مصدقون بالبعث، قاله النقاش. وقيل: مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ أنه حق، قاله يحيى بن سلام. قال سفيان الثوري: فأكذبهم الله فقال: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقيل معنى ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي قد أي قد زالت عنا الشكوك الآن، وكانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا، ولكن لم يكونوا يتدبرون، وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع، فلما تنبهوا في الآخرة صاروا حينئذ كأنهم سمعوا وأبصروا(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٩٧، ٢٩٨/باختصار).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٩٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٩٥، ٩٦/باختصار).

فيجيبهم الله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤]. وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من النسيان الذي لا ذكر معه، أي لم يعملوا لهذا اليوم فكانوا بمنزلة الناسين. والآخر: أن ﴿نَسِيتُمْ﴾ بما تركتم، وكذا ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾. قال الضحاك: ﴿نَسِيتُمْ﴾. أي تركتم أمري. وقال يحيى بن سلام: أي تركتم الإيمان بالبعث في هذا اليوم. وقال مجاهد: تركناكم في العذاب. ثم قال: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي العذاب المخلد وهو الدائم الذي لا انقطاع له في جهنم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني في الدنيا من المعاصي. وقد يعبّر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً، لإحساسها به كإحساسها بذوق الطعم(١).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. أي في ذلك اليوم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ أي أمهلنا. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. سألوه الرجوع إلى الدنيا حين ظهر الحق في الآخرة. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ أي إلى الإسلام، ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾(٢).

فيجيبهم الله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤]. يعني في دار الدنيا. قال مجاهد: هو قسم قريش أنهم لا يبعثون. قال ابن جريج: هو ما حكاه عنهم في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨](٣).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]. أي يقولون: ربنا أخرجنا من جهنم وردّنا إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾. قال ابن عباس: نقل لا إله إلا الله، وهو معنى قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي من الشرك، أي نؤمن بدل الكفر، ونطيع بدل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/١٤/٩٨/ باختصار).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٧٨).
(٣) المرجع السابق.

المعصية، ونمتثل أمر الرسل(١).

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]. هذا جواب دعائهم، أي فيقال لهم، والقول مضمر: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾. قال علي وابن عباس وأبو هريرة في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ إنه ستون سنة. ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ أي القرآن. وقيل: الرسول ﷺ، قاله زيد بن علي وابن زيد. وقال ابن عباس وعكرمة وغيرهما: هو الشيب. ﴿فَذُوقُواْ﴾ يريد عذاب جهنم، لأنكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم، ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي مانع من عذاب الله(٢).

ثم يقولون: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم ﴿شِقْوَتُنَا﴾، وقرأ الكوفيون إلا عاصماً ﴿شَقاوتُنا﴾. يقال شقاء وشقاً، بالمد والقصر. وأحسن ما قيل في معناه: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، فسمى اللذات والأهواء شقوة، لأنهما يؤديان إليها. وقيل ما سبق في علمك، وكتب علينا في أمّ الكتاب من الشقاوة. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي كنا في فعلنا ضالين عن الهدى، وليس هذا اعتذار منهم إنما هو إقرار ويدلّ على ذلك قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوها عند الموت. ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴿١٠٧﴾﴾ إلى الكفر ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا بالعوْد إليه(٣).

فيأتيهم الجواب من الله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. أي ابعدوا في جهنم، كما يقال للكلب: اخسأ، أي ابعد(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٢/١٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٢/١٤ - ٣٥٤/باختصار).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/١٢/باختصار).
(٤) المرجع السابق.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يقول: إنكم ماكثون، ثم يدعون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير»[1]. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء، وأقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجوه بعض، وأطبقت عليهم.

ثم قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

فبعد أن يقول لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ هو يوم لا يتكلمون فيه أبداً، ولا يؤذن لهم الاعتذار والدعاء، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) الترغيب والترهيب (٤/٤٩١، ٤٩٢).

الفصل السادس

إلى متى العذاب ؟

المبحث الأول: رجال ممن يخرجون من النار

إن الله تبارك وتعالى يتكرم يوم القيامة على بعض الرجال فيخرجهم من النار برحمته، قبل أن يخرج من النار الموحدين بشفاعة النبي محمد ﷺ. وقد أخبر عن بعضهم النبي ﷺ فقال: «إن رجلين ممن يدخل النار يشتد صياحهما فيها. فيقول الله تعالى: أخرجوهما. ثم يقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما. فيقولون: فعلنا ذلك لترحمنا. فيقول: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما في النار حيث كنتما. فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه في النار. فيجعلها عليه برداً وسلاماً. ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه. فيقول الرب تبارك وتعالى: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك نفسه؟ فيقول: رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها، بعد أن أخرجتني منها. فيقول الرب تبارك وتعالى: لك رجاؤك. فيدخلان معاً الجنة برحمة الله»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة يا حنّان يا منّان، فيقول الله تعالى لجبريل: ائتِ عبدي فلاناً، فينطلق جبريل (عليه

---

(١) جامع الأصول (١١/٨٠٩٤).

السلام) فيرى أهل النار منكبّين على وجوههم، قال: فيرجع فيقول: يا رب لم أره، فيقول الله تعالى: إنه في مكان كذا وكذا، قال فيأتيه فيجيء به، فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك . قال: فيقول: شر مكان وشر مقيل، قال: فيقول: ردوا عبدي، قال فيقول: يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذا أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: دعوا عبدي»[1].

وعن سعيد بن جبير قال: إن في النار لرجلاً - أظنه في شعب من شعابها ينادي مقادر ألف عام: يا حنّان يا منّان، فيقول رب العزة لجبريل عليه السلام: يا جبريل أخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا ربِّ إنها عليهم مؤصدة، فيقول: يا جبريل، أرجع ففكّها فأخرج عبدي من النار، فيفكها فيخرج مثل الخيّال على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودماً[2].

وعن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: «يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار، قال: فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوء مصير. فيقول: بما قدمت أيديكما، وما أنا بظلاّم للعبيد، فيأمر بهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت. فيأمر بردّهما، فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ما حملك على ما فعلته وقد اختبرتها؟ فيقول: يا رب قد ذقت وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً. ويقول للذي مضى وهو يتلفت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظنّي بك يا رب، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حيث أخرجتني منها أن لا تعيدني إليها، قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة»[3].

وأما آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها، فهو

---

(١) التذكرة ص ٥٠٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سنن الأوزاعي (كتاب من أحاديث النار/٢١٩٢).

رجل جاءت قصته في الحديث النبوي. قال النبي ﷺ: «آخر رجلين يخرجان من النار يقول الله لأحدهما: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم، هل عملت خيراً قط؟ هل رجوتني؟ فيقول: لا يا رب، فيؤمر به إلى النار وهو أشد أهل النار حسرة. ويقول للآخر: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت خيراً قط؟ هل رجوتني؟ فيقول: لا يا رب إني كنت أرجوك، قال: فترفع له شجرة، فيقول: يا رب أقرني تحت هذه الشجرة فأستظل بظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها، ويعاهده أن لا يسأله غيرها. فيقرّه تحتها، ثم يرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، وأغدق ماء، فيقول: يا رب أقرني تحتها لا أسألك غيرها فأستظل بظلها وأشرب من ماءها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقره تحتها، ثم يرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين وأغدق ماء، فيقول: يا رب هذه، أقرني تحتها، فيدنيه تحتها ويعاهده ألا يسأله غيرها، فيسمع أصوات أهل الجنة فلا يتمالك فيقول: أي رب الجنة، أدخلني الجنة، فيقول الله عز وجل: سل وتمنّ، فيسأل ويتمن مقدار ثلاثة أيام الدنيا، ويلقّنه الله ما لا علم له به فيسأل ويتمنى فإذا فرغ قال: لك ما سألت»، قال أبو سعيد: «ومثله معه»، وقال أبو هريرة: «وعشرة أمثاله معه»، فقال أحدهما: حدث بما سمعت وأحدّث بما سمعت[1].

وقال ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً. فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى. فيقول الله عز وجل: اذهب فادخل الجنة. قال فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: وجدتها ملأى. فيقول الله عزّ وجلّ له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثاله، وإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا. فيقول: أتسخر بي - أو أتضحك بي - وأنت الملك»؟ قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. فكان يقال: ذلك أدنى أهل

(١) مجمع الزوائد (١٠/٤٠٠).

الجنة منزلة[1].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل من جُهَيْنة، يقال له جهينة، تقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين»[2]. وعنه عن النبي ﷺ قال: «إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين سلوه: هل بقي من الخلائق أحد»؟ وقد قيل: إن اسمه هناد[3].

قوله: أتستهزئ مني ؟ - وفي رواية: أتسخر؟ - والهزوء والسخرية بمعنى واحد، وفيه تأويلان: أحدهما: أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه، كما أخطأ الذي قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخرجه مسلم.

الثاني: أن يكون معناه أتجاريني على ما كان مني في الدنيا من قلة احتفالي بأعمالي، وعدم مبالاتي بها؟ فيكون هذا على وجه المقابلة، كما قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]. أي ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم، والاستهزاء في اللغة: الانتقام[4].

المبحث الثاني: شفاعة النبي ﷺ وخروج الموحدين من النار

إن الله تعالى أكرم نبيّه محمداً ﷺ بأن يشفّعه يوم القيامة بأمته، ويخرج من شاء منهم من النار ويدخلهم الجنة بإذنه تعالى، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما خيّرني ربي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. قلنا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من

(١) جامع الأصول (٨٠٩٥/١١).
(٢) التذكرة ص ٥٠٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

أهلها. قال هي لك مسلم»[1].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحاً. فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصابه، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطاياه التي أصاب، ولكن ائتوا موسى، عبداً آتاه الله التوراة، وكلمه تكليماً، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، وقُل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفّع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحدّ لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»[2].

قوله ﷺ: «حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»، يجوز أن يكون معناه

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/٤٣١٧).

(٢) الأحاديث القدسية (٢٧٠).

أنه: ما بقي في النار إلا من صدر فيه في القرآن آية بخلوده في النار، وهم الكافرون والمشركون وغيرهم، والله أعلم.

وقال النبي ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برّه، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرّة»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حمماً، قد امتحشوا - أي احترقوا - فيلقون في نهر الحياة، أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحبّة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية»[2].

وفي حديث الشفاعة[3]، قال رسول الله ﷺ: «فيبقون ما شاء الله فيها، ويقولون: يا أرحم الراحمين، يا حنّان يا منّان، فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال: يا جبريل ما فعل العاصون من أمة محمد ﷺ فيقول: اللهم أنت أعلم بهم، فيقول: انطلق فانظر ما حالهم فينطلق جبريل عليه السلام إلى مالك وهو على منبر في وسط جهنم، فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه السلام قام تعظيماً له فيقول: يا جبريل ما أدخلك هذا الموضع؟ فيقول: ما فعلت بالعصابة العاصية من أمة محمد؟ فيقول مالك: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان، فيقول جبريل: ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم. قال: فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم، فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب، فيقولون: من هذا العبد الذي لم نر أحداً قط أحسن منه؟ فيقول مالك: هذا جبريل الكريم على

(١) الأحاديث القدسية (٢٧٠).
(٢) الأحاديث القدسية (٢٧٨).
(٣) تنبيه الغافلين ص٣١، ٣٢.

ربه الذي كان يأتي محمداً ﷺ بالوحي، فإذا سمعوا ذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم وقالوا: يا جبريل أقرئ محمداً ﷺ منّا السلام، وأخبره بأن معاصينا فرقت بيننا وبينك وأخبره بسوء حالنا. فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدي الله تعالى، فيقول الله تعالى: كيف رأيت أمة محمد؟ فيقول: يا رب ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم، فيقول: هل سألوك شيئاً؟ فيقول: يا رب نعم، سألوني أن أقرئ نبيّهم منهم السلام وأخبره بسوء حالهم، فيقول الله تعالى: انطلق وأخبره، فينطلق جبريل إلى النبي ﷺ وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب، فيقول: يا محمد قد جئتك من عند العصابة العاصية الذين يعذبون من أمتك في النار وهم يقرئونك السلام ويقولون: ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا، فيأتي النبي ﷺ إلى تحت العرش فيخرّ ساجداً ويثني على الله تعالى ثناء لم يثنِ عليه أحد مثله، فيقول الله تعالى: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيقول يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم، فشفعني فيهم، فيقول الله تعالى: قد شفعتك فيهم، فائتِ النار فاخرج منها من قال: لا إله إلا الله، فينطلق النبي ﷺ فإذا نظر مالكُ النبيَّ ﷺ قام تعظيماً له فيقول: يا مالك ما حال أمتي الأشقياء؟ فيقول: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم، فيقول محمد ﷺ افتح الباب وارفع الطبق، فإذا نظر أهل النار إلى محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم فيقولون: يا محمد قد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا، فيخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً، قد أكلتهم النار، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه، فيخرجون منه شباباً جُرداً مُرداً مكحلين وكأن وجوههم مثل القمر، مكتوب على جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة، فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]».

وقال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم،

فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبّة تكون في حميل السيل»، فقال رجل: كأن رسول الله ﷺ كان يسكن بالبادية[١]. وقوله: كأن رسول الله كان يسكن بالبادية، ورأى نبات الحبة في حميل السيل في الأودية، وأنهما تخرج صفراء ملتوية، والله أعلم[٢].

وهذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكّدها بالمصدر، وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسّوا ألم العذاب بعد الاحتراق، بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلد فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. وقيل: يجوز أن يكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إيّاهم عن آلامها بالنوم، ولا يكون ذلك موتاً عن الحقيقة، فإن النوم قد يغيِّب عن كثير من الآلام والملاذ، وقد سماه الله موتاً، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذي هو خروج الروح عن البدن[٣]. وكذلك يجوز أن يكون أماتهم غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم، كما غيب النسوة اللاتي قطّعن أيديهن بشاهد ظهر لهن، فغيبهن عن آلامهن، والتأويل الأول أصحّ لما ذكر من تأكيد بالمصدر، ولقوله في نفس الحديث: حتى إذا كانوا فحماً، فهم أموات على الحقيقة، كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بالأموات[٤].

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟ قيل: يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم، وإن لم يعذبهم فيها، ويكون صَرْف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غلّ ولا قيد، والله أعلم[٥].

---

(١) الأحاديث القدسية (٢٧٩).

(٢) تفسير الحديث (المرجع السابق).

(٣) التذكرة ص ٣٩٤، ٣٩٥.

(٤) التذكرة ص٣٩٥.

(٥) المرجع السابق.

وإنهم إذا دخلوا النار، لا يصيرون فحماً إلا أن يكونوا قد تعذبوا وذاقوا وبال معصيتهم التي عصوها في الدنيا، لأنه كما مرّ في فصل سابق أن عصاة أمة محمد ﷺ يعذبون، والله أعلم.

وأما اسمهم، فإنهم إذا دخلوا الجنة بعد أن خرجوا من النار، سمّاهم أهل الجنة بالجهنميين، قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم من النار بعدما مسّهم منها سَفْع فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين»[1].

قال ابن كثير: «فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد وجوههم، فيقولون: يا رب أذهب عنا هذا الاسم، فيأمر فيغتسلون في نهر الجنة، فيذهب ذلك الاسم عنهم».

المبحث الثالث: خلو جهنم من الموحّدين

إن أهل جهنم إذا شفع لهم نبيهم ﷺ -كما مر- وأخرج الله من النار من قال لا إله إلا الله، بقيت جهنم خالية من أهلها، لأن أهلها هم أصحاب المعاصي من أمة محمد ﷺ، فإذا خرجوا جميعهم منها وأدخلوا الجنة لم يبق فيها أحد.

لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أن جهنم تملأ يوم القيامة فقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩]. فهنا معنى جهنم، أي النار بمجملها، وأما خلو الدرك الأول وهو جهنم، فيجوز أنه بعد أن تملأ النار من الجِنة والناس، يتكرم الله على كل من وحّده وقال: لا إله إلا الله، فيدخله الجنة بكرمه ورحمته وشفاعة نبيه محمد ﷺ، وأما أصحاب باقي الدركات فإنهم مخلدون، والله أعلم.

وقال العلماء: «أعلى دركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم

---

(١) رواه البخاري (٢٣/٦١٦٩).

السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية»[1]. وعن أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينّ على جهنم يوم كأنها زرع هاج واحمرّ، تخفق أبوابها»[2].

وعن الحسن قال: قال عمر: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه. وأخرج ابن إسحاق بن راهويه عن أبي هريرة قال: سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]. وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال: وقال ابن مسعود: ليأتينّ عليها زمان تصفق فيه أبوابها. وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً[3]. وعن عبد الله بن عمر بن العاص قال: يأتي على جهنم يوم ما فيها من ابن آدم، تصفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين[4].

قال القرطبي: «أجمع أهل السنّة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها: كإبليس وفرعون وهامان وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا. وقد وعدهم الله عذاباً أليماً، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد فاعلم»[5]. وقال: «فمن قال: إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها، خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى

(١) نهاية البداية والنهاية (١٦٢/٢).

(٢) مجمع الزوائد (٣٦٠/١٠).

(٣) روح المعاني (١٤٦/١٢).

(٤) المرجع السابق.

(٥) التذكرة ص ٥٠٧.

المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول»[1].

المبحث الرابع: خلود أهل النار في النار

إن الدرك الأعلى من النار، وهو جهنم إذا خلا من أهله، وأخرج من النار كل من قال: لا إله إلا الله، فأدخل الجنة، بقي أهل باقي الدركات في النار، يحترقون فيها ويذوقون فيها شتى أنواع العذاب، خالدين فيها، لا يخرجون منها أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٣]. أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حُقُب جاء حقب، والحُقُب: بضمتين: الدهر، والأحقاب: الدهور. والحُقْب بالضم والسكون: ثمانون سنة. وقيل: أكثر من ذلك وأقل. والمعنى في الآية: ﴿لَّابِثِينَ﴾ فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها، فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه، إذ في الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال: أيام الآخرة، أي أيام بعد أيام إلى غير نهاية، وإنما كان يدل على التوقيت لو قال: خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب. وقرأ حمزة والكسائي ﴿لَبِثِينَ﴾ بغير ألف، وهما لغتان[2].

الحقب: ثمانون سنة من سنين الآخرة، اليوم منها كألف سنة مما يعدّ بنو آدم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، والله أعلم.

وإنه ليؤتى بالموت فيذبح يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطّلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه. ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه. فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به

---

(١) التذكرة ص ٥١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٧٧، ١٧٨/باختصار).

فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبداً»[1]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي به مناد: يا أهل الجنة، وكلهم قد رآه، ثم ينادي مناد: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]. وأشار بيده إلى الدنيا»[2].

قال القرطبي: «هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦][3]. وقال: «إنما يؤتى بالموت كالكبش، والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح. وفي التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]. أن الموت والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء، وهي التي كان جبريل والأنبياء (عليهم السلام) يركبونها خطوط مد البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على العجل فحيي، حكاه الثعلبي والقشيري، عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٢٧/٢).
(٢) الترغيب والترهيب (٥٦٣/٤).
(٣) التذكرة ص ٥١١.
(٤) التذكرة ص ٥١٣.

والموت يؤتى به على هيئة كبش أملح ويذبح بعد أن يشفع النبي ﷺ لأمته، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، فعند ذلك يؤتى بالموت ويذبح على الصراط، وينادى أن كلٌ فيما هو فيه خالد، والله أعلم.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد»[1].

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧]. أي مدة دوامها، وهذا عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع، على منهاج قول العرب: لا أفعل كذا ما لاح كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بلّ بحر صوفة وما تغنت حمامة إلى غير ذلك من كلمات التأبيد عندهم لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السماوات والأرض، فإن النصوص القاطعة الدالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما، وروي عن ابن جرير: يجوز أن يحمل ذلك على التعليق والمراد بالسماوات والأرض سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة للأبد. قال الزمخشري: والدليل أن لها سماوات وأرضاً قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلّهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله تعالى أو يظلهم العرش، وكل ما أظلك فهو سماء، انتهى[2].

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٤، ٣٥]. أي اليوم نترككم في النار لقاء يومكم هذا، أي تركتم العمل له، والنار مسكنكم ومستقركم، ومالكم من ينصركم. ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله - يعني القرآن - هزواً: أي لعباً، وخدعتكم الحياة الدنيا

---

(١) مجمع الزوائد (٣٩٦/١٠).

(٢) روح المعاني (١٤٢/١٢، ١٤٣).

بأباطيلها وزخارفها، فظننتم أن ثَم ليس غيرها وأن لا بعث. فاليوم لا يخرجون من النار، ولا هم يسترضون، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضم الراء، لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]. والباقون بضم الياء وفتح الراء، لقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ ونحوه[١].

المبحث الخامس: زيادتهم عذاباً

إن أهل النار إذا أعلن عن خلودهم فيها، زيدوا عذاباً فوق عذابهم، قال تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال، وحيّات مثل أعناق الإبل، وأفاعي كأنها البخاتي[٢] تضربهم، فتلك الزيادة[٣]. وقال البراء: سئل النبي ﷺ عن قول الله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ فقال: «عقارب أمثال النحل الطوال تنهشهم في جهنم»[٤]. وقيل: المعنى يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار. وقيل: المعنى زدنا القادة عذاباً فوق السفلة، فأحد العذابين على كفرهم، والعذاب الآخر على صدّهم ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ في الدنيا من الكفر والمعصية[٥] وعن النبي ﷺ قال: «ينشئ الله لأهل النار سحابة مظلمة، فإذا أشرقت عليهم نادتهم: يا أهل النار أي شيء تطلبون؟ وما الذي تسألون؟ فيذكرون بها سحائب الدنيا، والماء الذي كان ينزل عليهم، فيقولون: نسأل يا رب الشراب، فتمطرهم أغلالاً تزداد في أعناقهم، وسلاسل تزداد في سلاسلهم، وجمراً يلهب النار عليهم»[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٧٧، ١٧٨/بتصرف).
(٢) جمال طويلة الأعناق.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٦٤).
(٤) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦٣).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٤).
(٦) نهاية البداية والنهاية (٢/١٤٥).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠]. قال أبو برزة: سألت النبي ﷺ عن أشد آية في القرآن؟ فقال: قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧]. أي كلما خفّت نارها أزيدت إشعالاً وتسعيراً، وخبْتُ نارها يكون بدون تخفيف للآلام عنهم.

وأخبر الله تعالى عن دعاء أهل النار على بعضهم فقال: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: ٦١]. قال ابن مسعود: معنى عذاباً ضعفاً من النار، الحيات والأفاعي. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨][(٢)].

المبحث السادس: عدم فناء النار

هل تفنى الجنة والنار؟

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. وعند قوله تعالى بعد النفخة الأولى وصَعْق من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله: «لمن الملك اليوم»؟ هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر والحشر على ما يأتي.

وفي فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قبل البعث قولان:

أحدهما: يفنيهما ولا يبقى شيء سواه وهو معنى قوله الحق: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]. والآخر: إنه مما لا يجوز عليهما الفناء وأنهما باقيتان بإبقاء الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٨٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٤).

وقد قيل: إنه ينادي فيقول: «لمن الملك اليوم»؟ فيجيبه أهل الجنة: «لله الواحد القهار»[1].

وأما في بقاء النار بعد دخول أهلها فيها، فإن الدرك الأعلى من النار وهو جهنم يخلى من أهله، وهم عصاة أمة محمد ﷺ، وأما باقي الدركات فإنها لا تخلى من أهلها ولا تفنى، لأن الله تعالى جعلها عذاباً أبدياً لمن فيها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [فصلت: ٢٨]. فلقد بيّن الله في هذه الآية أن النار هي دار خلود لا تفنى ولا تطفأ. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [يونس: ٥٢]. أي العذاب الذي تخلّدون فيه، وهو نداء موجه إلى الظالمين أي الكافرين، والله أعلم.

المبحث السابع: الأسباب المنجية من عذاب النار

إن الله تعالى جعل للإنسان أسباباً منجية من عذاب النار يوم القيامة، وكلها مرّت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

فمن الأسباب المنجية: أن نكون من المؤمنين العاملين الصالحين المبشرين بالجنة في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من المتقين الذين أعد الله تعالى لهم الجنة كما يشير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ

---

(١) التذكرة ص ٢١٣ (بتصرف).

﴿يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من المطيعين لله ورسوله، كما يشير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بالنفس والمال، كما يشير قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من المقيمين الصلاة المؤتين الزكاة المؤمنين بالرسل المقرضين الله قرضاً حسناً، كما يشير قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [المائدة: ١٢].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢٤].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من أهل التوبة المشار إليهم في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ [مريم: ٦٠ - ٦٣].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من أهل الاستقامة المتحدث عنهم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

ومن الأسباب المنجية: أن نكون من: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ

﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٢٣-٣٥].

ومن الأسباب المنجية: أن نستجير منها ومن حرها ومن زمهريرها، قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم حار، ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد حرّ هذا اليوم! اللهم أجرني من نار جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي منك، وإني أشهدك أني قد أجرته. وإذا كان يوم شديد البرد، ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد هذا اليوم! اللهم أجرني من برد زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي من زمهريرك، وإني أشهدك أني قد أجرته»[١].

ومن الأسباب المنجية كذلك: أن نكون من المشار إليهم في الأحاديث النبوية الشريفة الآتية:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن عمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/١٦١).

أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(١).

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت إذا صليتُ المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرّمتِ الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً، أدخل الجنة؟ قال: نعم»(٢).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فُروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها - أي زوجها -، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ بأبي أنت وأمي، قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة»(٥).

---

(١) رواه الترمذي (جامع الأصول ٧٢٥٦/١٠).
(٢) رواه مسلم (جامع الأصول ٧٢٦٩/١٠).
(٣) رواه ابن حبان (٢٧١/١).
(٤) رواه ابن حبان (٤١٦٣/٩).
(٥) رواه البزّار (١٧٩٥/٢).

وهكذا نرى أن كل عمل صالح نتقرب إلى الله تعالى به، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الحلال وتحريم الحرام وطلب العلم النافع وترك المراء وحسن الخلق وصلاة ركعتين بعد الأذان والمداومة على الطهر وصلاة ركعتين بعد الوضوء والأذان وبناء المساجد والسماحة في البيع والشراء وحسن التقاضي والقضاء وأداء الأمانة وحفظ الفرج والجهاد في سبيل الله تعالى وقراءة القرآن وقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله... الخ، ما هو ثابت في أحاديث الرسول ﷺ سيكون سبباً في نجاتك من النار ودخولك الجنة. وحسبك أن تعلم أنك إن شاء الله تعالى بهذا تكون من الفائزين، كما يشير قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠].

ولهذا فقد أمرنا الله تعالى في قرآنه بأن نسارع إلى مغفرته وطلب جنته، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وحسبك - كذلك - حتى تنفذ أمر الله تعالى هذا، فتسارع إلى مغفرة ربك والعمل على أن تكون من أهل جنته. وحتى تكون من أهل هذا الفضل العظيم، عليك أن تعلم أن الجنة هي دار الثواب والنعيم المقيم، فيها الحور العين، والولدان، ولحم الطير والفواكه، والأنهار الجارية من الماء واللبن والعسل والخمر، والسرر والحرير والذهب، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ونسأل الله تعالى أن يزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة ويجعلنا من أهلها.

❀ ❀ ❀

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذا ما تيسر لي كتابته عن هذه المسألة التي أحببت أن أبيّن مفهومها الذي نراه فيها.

فإن كان ذلك صواباً فالحمد لله، وإن كان غير ذلك فإنني بشر أصيب وأخطئ. وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه، إلا السيد المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وأعوذ بالله من علم لا ينفع ودعاء لا يُسمع وقلب لا يخشع، وأعوذ بالله من كل سوء وبلاء وشرك، وأتبرأ مما تبرأ منه رسول الله ﷺ ، وأقر بما أقرّ به.

فقد أنعم الله تعالى عليّ بإتمام هذا العمل الذي كلفني من الجهد في الجمع ثم في التنقيب وحل المشكلات والتغلب على العقبات ما لا يعلمه إلا الله جل جلاله، ولكنني أعتقد إني قد وفقت في استجلاء كنه هذا الكتاب، واستطعت أن أصل إلى النتائج التالية:

- تعريف القارئ الكريم بدار العذاب يوم القيامة.
- تعريف القارئ الكريم بمصير الكافرين والعصاة.
- حل بعض الاستشكالات التي تتعلق بهذا الموضوع.
- تعريف القارئ الكريم على حياة أهل النار في النار.

● تبيان الأسباب والطرق التي يجب أن يتبعها الإنسان ليكون ناجياً من النار يوم القيامة.

وقد وفقت بحمد الله لإتمام هذا الكتاب الذي أرجو من الله أن يكون سبباً في هداية الناس وإبعادهم عن الكبائر وعن طريق النار.

وهذا الجهد القليل أقدمه راجياً من الله أن يغفر لي ما قصرت فيه، سائلاً المولى أن يبصرني بمواطن تقصيري عن طريق ناصح يبغي الخير للخير، راجياً له الثواب والأجر الجزيل من الله رب العالمين. وسبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

طارق مراد

تم بحمد الله تعالى

المراجع

* **القرآن الكريم.**

* **التفاسير:**

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ ١٩٩٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي/ دار إحياء التراث العربي/ ط٤/ ١٩٩٥م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي/ دار الجيل/ ط٢/ ١٩٩٠م.
- فتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان/ دار لبنان للطباعة والنشر/ ط١/ ١٩٩٢م.

* **الصحاح:**

- صحيح مسلم بشرح النووي/ دار إحياء التراث العربي/ ط٣.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني.
- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سُورة/ دار إحياء التراث.
- عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الفقيه ابن العربي المالكي.
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي.

- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية/ دار المعرفة.
- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني/ دار إحياء الكتب العربية/ ١٩٥٣م.
- موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي/ دار النفائس/ ط٥/ ١٩٨١م.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث للإمام أبي عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم/ مكتبة النصر الحديثة.
- صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي/ مؤسسة الرسالة/ ط٢/ ١٩٩٣م.
- مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ ١٤١٢هـ.
- مختصر زوائد مسند البزّار على الكتب الستة ومسند أحمد للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط١.
- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي/ دار المعرفة/ ١٩٩٢م.

*** كتب الأحاديث:**

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري/ دار الفكر.
- نهاية البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير/ مكتبة النصر الحديثة/ ط١/ ١٩٦٨.
- قرة العيون ومفرح القلب المحزون للإمام أبي الليث السمرقندي (رحمه الله)/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/ الطبعة الأخيرة/ ١٩٤٩م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي/ دار الفكر.
- مصابيح السنة للإمام محيي السنّة ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي/ دار المعرفة/ ط١/ ١٩٨٧م.
- الأحاديث القدسية للدكتور أحمد محمد فارس/ دار الأمان/ ط١/ ١٩٩٦م.

- جامع الأصول من أحاديث الرسول للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري/ دار إحياء التراث العربي/ ط٤/ ١٩٨٤م.
- سنن الأوزاعي: أحاديث وآثار وفتاوى للإمام أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي/ دار النفائس/ ط١/ ١٩٩٣م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني/ المطبعة العصرية بالكويت/ ط١/ ١٩٧٣م.

*** تفاسير الأحاديث:**

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري تأليف الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر/ ١٩٥٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني/ كلاهما تأليف أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي/ ط١/ ١٣٧١هـ.

*** مراجع أخرى:**

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي/ دار الريان للتراث/ ط٢/ ١٩٨٧م.
- الكبائر للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي التركماني/ دار المسيرة/ ط١/ ١٩٨٧.
- تنبيه الغافلين في الموعظة بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، وبستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط١/ ١٩٨٨م.
- بستان الواعظين ورياض السامعين للإمام أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط١/ ١٩٩٥م.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر تأليف أبي العباس أحمد بن حجر المكي الهيتمي/ دار المعرفة/ ١٩٨٨م.
- آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجانّ للعلامة المحدث القاضي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي (رحمه الله)/ مؤسسة الكتب الثقافية/ ط١/ ١٩٩٥م.

- فقه السنة تأليف سيد سابق/ دار الكتاب العربي/ ط٨/ ١٩٨٧م.
- أسباب السلامة من أهوال يوم القيامة تأليف طه عبدالله العفيفي/ دار الجيل/ ط٢/ ١٩٨٤م.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين تأليف الشيخ محمد الخضري بك/ دار إحياء التراث العربي.
- القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي/ مؤسسة الرسالة/ ط١/ ١٩٨٦م.
- لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري/ دار الفكر/ ط٣/ ١٩٩٤م.
- مجلة منبر الداعيات/ عدد ٢٥/ محرم ١٤١٨ هـ.

❁ ❁ ❁

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❁ ❁ ❁